Journal of Islamic Sciences
Volume (4), Issue (6): 30 Dec 2021
P: 1 - 33

ISSN: 2664-4347

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد (4)، العدد (6): 30 ديسمبر 2021م
ص: 1 - 33

The rules and controls for accepting good deeds in a changing world

Yaqoub Yousef Alfailakawi

The Public Authority for Applied Education And Training || Industrial Institute || Kuwait

Abstract: In this research, I aimed to present the most important endeavours of a Muslim slave in his life. the collection of good deeds and care to accept good work; According to the Holy Koran and the right prophetic year; This can only be done in the words and good deeds to which the Muslim good luck in this life. Without ignorance or negligence in the light of the terms and conditions of this, Knowledge of God's greatness avoids a Muslim to fall into such oblivion. Happiness and satisfaction can only be achieved through devotion to the laws of Islam. It also outlined the variables of the times and their impact on the acceptance of good work, To that end, I have followed the descriptive extrapolation approach in my research, and I have divided it into three Reports

Keywords: Controls- Good deed- good work - A Changing World.

قَواعِد وضَوابِط قَبول الْعَملِ الصّالحِ فِي عَالم مُتَغيِر

يعقوب يوسف الفيلكاوي

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب || المعهد الصناعي || دولة الكويت

المستخلص: هدف هذا البحث إلى عرض أهم ما يسعى إليه العبد المسلم في حياته، ألا وهو تحصيل الحسنات والحرص على قبول العمل الصالح، وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ ولا يتأتى ذلك إلا بالأقوال والأعمال الصالحة التي يوفق إليها المسلم في هذه الحياة، دون جهل منه أو غفلة في ضوء معرفة شروط وضوابط ذلك، فالعلم بعظمة الله تعالى تجنب المسلم الوقوع بتلك الغفلة، فالسعادة والرضا لا تكون إلا بالإخلاص والمتابعة لشرائع الإسلام، كما تطرقت إلى بيان متغيرات العصر وتأثير ذلك على قبول العمل الصالح، ولتحقيق ذلك اتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي الوصفي، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث

الكلمات المفتاحية: ضوابط- العمل الصالح – عالم متغير.

المقدمة.

بسم الله الذي سير الأجرام والنوء، والذي أعطى ومنع، والصلاة والسلام على من بعثه ربي صاحب رسالة ونبأ، أرسله بدين الهداية وقدوة لجميع الخلق والملأ، وعلى آله وصحبه الكرام ذوي التقوى والهُدى والورع، أجمعين، في الأولين والآخرين.

وانطلاقاً من هذه المكانة، ولبلوغ تلك المنزلة- التقوى- فقد شرعت في تناول هذا البحث، وقد أسميته (قَواعِد وضَوابِط قَبول الْعَملِ الصّالحِ فِي عَالم مُتَغيِر)، لما يقع فيه البعض من المتعبدين والمتنسكين لله تعالى، ممن حادوا عن الطريق الصحيح من آفة الجهل والغفلة وعدم التفقه في الدين، وقد أمرنا الله تعالى ورسوله الكريم- ﷺ- بخلاف ذلك، قال رسول الله- ﷺ- " اللهم علِّمني ما ينفَعُني، وانفَعني بما علَّمتني، وزِدني عِلماً "[1].

(1) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب: حدثنا أبو كريب 40/5 رقم (3599).

وقد ذم الله تعالى الجهل والغرور في علاقاتنا الشخصية والأخلاقية، بل وفي جميع الأفعال القلبية والعملية كالعبادات وغيرها.. قال الشيخ على محفوظ: [ومن البدع المحظورة التي تقع في العبادات عامة، ونطقت الأحاديث ببدعتها: أن يفتخر المرء بدعوى العلم والقرآن، أو شيء من العبادات] (2).

وتناولت كذلك تأثير مستجدات وتطورات العصر، في معرفة المسلم لقواعد وضوابط قبول الأعمال الصالحة ومدى جهله بذلك.

أ- مشكلة البحث:

نظراً لوقوع كثير من المسلمين بما ينافي صحة قبول عملهم الصالح والإخلاص فيه، ووفقاً لما أمر به الله عز وجل، وما بينه رسول الهُدى محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ارتأيت صياغة مشكلة البحث فيما يلي:

- دور العلم بمعرفة عظمة الخالق سبحانه، وتأثيرها على العمل الصالح لدى العبد المسلم.
- مدى معرفة المسلم بضوابط قبول العمل الصالح.
- هل يعذر المسلم بالجهل في معرفة ضروريات الإسلام؟
- مدى تأثير متغيرات العصر على الجاهل والمبتدع في عملهما الصالح، ومدى قبوله عند الله تعالى.

ب- أهداف البحث:

لقد تبلورت فكرة البحث، بعد سماع ورؤية الكثير من الأقوال والأفعال الخاطئة، والتي وقع فيها بعض المسلمين في تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، فلذا كان من الضروري تناول بعض المسائل من حيث:

- توضيح الصواب، وإرشاد الغافلين لأصل المعتقد الصحيح في الإسلام.
- بيان أن القول والعمل لا يتقبل إلا وفق ضوابط وضعها الشارع عز وجل، وبينها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.
- إيضاح العلاقة بين العلم بعظمة الخالق سبحانه، وتحقيق العبادة الحقة له في نفس المسلم.

ج- أهمية البحث:

- تحقيق بيان الغاية المرجوة من العمل الصالح، وشروط قبولهُ إن شاء الله.
- بيان تفاوت الطاقات والهمم بين جيل التلقي للوحي الإلهي، وجيل من جاء بعد القرون الأربعة في العمل الصالح.
- معرفة أن متغيرات العصر ساهمت في الجهل والابتداع في العمل الصالح ومدى قبولهِ.

د- الدراسات السابقة:

لقد تناول بعض الأفاضل من الباحثين في مسألة العمل الصالح، فقد تنوعت الفوائد وترامت، وقد اختلفت في مناهجها منها المعلوماتي ومنها الوصفي التحليلي، وكانت من تلك الدراسات ما يلي:

1- دراسة أحمد عز الدين البيانوني (1)، 1999م: (**العمل الصالح جزاؤه وأنواعه وفضله**) اتبع الباحث رحمه الله تعالى في منهجه الحث على إتيان العمل الصالح والترغيب فيها لنيل الأجر، وذكر ثمرات ذلك، ثم تطرق إلى أنواع العمل الصالح وطرق تحصيله، والدعوة إليه والإقبال على التوبة.

---

(2) علي محفوظ: الإبداع في مضار الابتداع ص297.

(1) أحمد عز الدين: دار السلام، ط3، القاهرة.

2- دراسة أ. د. فالح بن محمد الصغير [(2)]، 2005م: (**أثر العمل الصالح في تفريج الكروب**) تناول الباحث في دراسته حياة الإنسان من حيث الحالة النفسية والانفعالية من جهة، وأحواله المالية من جهة أُخرى، وربطها بمحيطه، فقسمها إلى كروب ومشكلات.. إما فطرية دنيوية كالوسواس واليأس والخوف.. الخ.

وإما حسية مرتبطة ببعده عن أداء العمل الصالح، فيصيبه ما يخشاه من المرض والحبس وعاقبة الظلم، أو ما يصيبه من الكروب الكونية كالزلازل والبراكين وغيرها. وخلص الباحث إلى أن النجاة من ذلك كله بالتقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح، فإن كل تلك الكروب من السنن الجارية في مقادير الله تعالى.

3- دراسة شلدان: فايز كامل [(3)]، 2011م: (**درجة ممارسة طلبة الجامعة الإسلامية للعمل الصالح، وسبل تفعيلها**) طبقت الدراسة على محيط طلبة وطالبات الجامعة الإسلامية في محافظة غزة بفلسطين – حرسها الله تعالى ،. واستخدم الباحث فيها المنهج الوصفي التحليلي بالاستبانة، وخلص الباحث على أن هناك بعض القصور في أداء العمل الصالح، وحرص على تنشئة أبناء المجتمع الفلسطيني منذ الصغر على العمل الصالح، وإعلام الشباب منهم أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ونبه على أن توجيههم لا يقتصر على الأسرة فقط، وإنما هناك دور بارز للإعلام بشتى أنواعه لبيان ذلك، كما سلط الضوء على إدارة الجامعة بضرورة إقامة بعض الندوات والمؤتمرات لتوجيه الشباب نحو طريق الخير والعمل الصالح.

- نقد الدراسات السابقة: لم تتبحر الدراسات السابقة في معتقد أهل السنة والجماعة في شروط صحة قبول العمل الصالح، كما لم تتطرق إلى ذكر آفتي الجهل والابتداع في فساد قبوله عند الله تعالى، فمنها:

- دراسة البيانوني: تناول الباحث مفهوم العمل الصالح وتعريفاته، وفضائله وذكر أنواعه، ورغب فيه لنيل الأجر والثواب.
- دراسة الصغير: اقتصر الباحث على ذكر نتائج عدم الإقبال على العمل الصالح، مما يوقع المسلم بالكروب والمشاكل في حياته.
- دراسة شلدان: دراسة بحثية لقياس تطبيق العمل الصالح لدى المجتمع الجامعي، وهي محدودة بمحل وفئة عمرية ذات درجة علمية مرتفعة نوعاً ما.

- ما تميزت به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

1- أنها عقدية وجدانية.
2- ربط العلاقة بين معرفة المسلم بعظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتوجيهه للإقبال على العمل الصالح بنور وهدى.
3- ذكرت أنموذج لحياة خير البرية- ﷺ- في صحة العمل الصالح.
4- موافقتها الدليل الشرعي لشروط صحة قبول العمل الصالح، ومدى قبوله عند الله تعالى.
5- توجيه المسلم بإتباع هدي الرسول- ﷺ- في أداء العمل الصالح.
6- التنبيه على أهمية الإخلاص في العمل الصالح، والبعد عن منافاة قبوله كالجهل والابتداع لدى المسلم.

(2) فالح الصغير: أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دراسة حديثية دعوية نفسية - موقع إلكتروني https: //books-library. net/free-622476909-download.

(3) فايز شلدان: بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مجلد 19 (العدد الثاني)، 2011م.

منهج البحث:

اتبعت في مبحثي هذا المنهج الاستقرائي، وقد حرصت على التالي:

- ذكر بعض الآيات القرآنية التي تخدم موضوع البحث.
- ذكر بعض أصح الأحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام، وثبت ذلك في الحاشية.
- ذكر بعض أصح الآثار التي وردت عن الصحابة الكرام ، وكذا بعض التابعين، أو الصالحين.
- اقتبست بعض أقوال أهل العلم والفضل بما يخدم موضوع مبحثي هذا، ووضعته ما بين حاصرتين كبيرتين []، وذكرت مصدره في الحاشية، أمانةً للنقل.
- بيان لبعض الكلمات والألفاظ الغريبة.
- عمل ثبت لبعض المراجع والمصادر التي استقيت منها معلومات هذا البحث.

خطة البحث:

تشتمل الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث.، وخاتمة.. وهي كالتالي:

- المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وسبب تناوله ومنهج البحث وأهميته.
- المبحث الأول: أهمية العمل الصالح وحقيقته.
- المبحث الثاني: قواعد وضوابط العمل الصالح.
- المبحث الثالث: شروط قبول العبادة الحقة.
- الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

فهذا جهدي المتواضع، راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق، وأستغفره إن أخطأت أو نسيت، وأسأله سبحانه العفو والغفران.

المبحث الأول: أهمية العمل الصالح وحقيقته

المطلب الأول: مفهوم العمل الصالح وأهميته وحقيقته.

- تعريف العمل الصالح:

لغةً: العَمَل: المِهْنة والفِعْل، والجمع أَعمال، عَمِلَ عَمَلاً وأَعْمَلَه غَيرهُ واسْتَعْمَله، واعْتَمَل الرجلُ عَمِلَ بنفسه، قال الأَزهري: عَمِلَ فلان العَمَلَ يَعْمَلُه عَمَلاً فهو عامِلٌ [(2)].

وقيل: العمَل: حَرَكَةُ البدَنِ بكُلِّه أو بَعْضِه وربّما أطلِقَ على حَرَكَةِ النَّفسِ فهو إحداثُ أمرٍ قَولاً كانَ أو فِعلاً بالجارِحَةِ أو القَلب [(3)].

<u>وقد يأتي العمل بصيغة الفعل:</u>

وتدل مادة (فعل) على إحداث شيء من عمل وغيره، من ذلك: فعلت كذا أفعله فعلًا، وكانت من فلان فعلة حسنة أو قبيحة، والفعال جمع فعل، والفعال، بفتح الفاء: الكرم، وما يفعل من حسن [(4)].

---

(2) ابن منظور: لسان العرب 11/ 475، انظر مادة: عمل.

(3) الزبيدي: تاج العروس 56/30.

(4) ابن فارس: مقاييس اللغة ٥١١/٤.

ورجلٌ صالح في نفسهِ من قوم صُلَحاء، ومُصْلِح في أَعماله وأُموره، وقد أَصْلَحه الله [5].

وقيل: صالح: ج صالحون وصَلَحَة وصُلاّح، أي: قائِمٌ بحقّ الله وحقّ عباده، تقيّ مؤمن "السلف الصّالح"، { وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا }. ومستقيمٌ مؤدٍّ لواجباته، عكسه فاسد، وفَتًى صالح- ميّز بين الصالح والطالح [6].

اصطلاحاً: العمل: بالتحريك مصدر عمل، جمع أعمال، كل فعل كان بقصد وفكر، سواء كان من أفعال القلوب كالنية، أم من أفعال الجوارح كالصلاة [7].

1- العمل الصالح أيضًا هو ما يصلح للقبول، وهو ما يؤدى على الوجه المأمور به،
2- ويقال: العمل الصالح ما كان بنعت الخلوص، وصاحبه صادق فيه،
3- ويقال: هو الذي لا يستعجل عليه صاحبه حظًا في الدنيا من أخذ عوض، أو قبول جاه، أو انعقاد رياسة، وما في هذا المعنى [8].

وقيل: هو كل خير أقره العرف والشرع والعقل والفطرة السليمة، وهو الذي يبوئ أصحابه الجنات [9]، وجه الدلالة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7).

- العمل الصالح في القرآن الكريم:

لقد وردت كلمة العمل في القرآن الكريم على عدة دلالات وصيغ، منها ما يخص قدرة الله تعالى وما عمله بيديه في هذا الملكوت العظيم، ومنها ما كان في وصف عمل المخلوقين كالملائكة والجن.. وغيرهما. وأكثر ذكر العمل كان في وصف فعل ابن آدم، وهو على مناحي كثيرة، فتارة يأتي ذكر العمل على صيغة الكسب والعيش، وأخرى على المساعدة والمساهمة، وأخرى على شرف العمل ونتاجه، أو على الخطأ فيه ومآله، وقد يأتي العمل بوصف ما يبغض الله تعالى من الشرك والشر.. وغيرهما، وقد يأتي ذكر العمل فيما يحبه الله تعالى ويجزل عليه العطاء والمثوبة في الدنيا والآخرة، ووجه الدلالة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلً﴾ (الكهف: 107)، قال ابن السعدي: [أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة، والباطنة، فهؤلاء- على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح- لهم جنات الفردوس.] [10].

وقد أقسم الله تعالى على خسران الإنسان، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: 3)، قال ابن كثير: [العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وقال زيد بن أسلم: هو العصر، والمشهور الأول، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك { إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وتواصوا بالحق﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، { وتواصوا بالصبر}، أي: على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي، ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.] [11].

ويرى الباحث بأن من فوائد الآيتين في ضوء ما ذُكر أمور منها:

(5) ابن منظور: لسان العرب 2/ 516، مادة: صلح.

(6) عمر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة ص1313، مادة: صالح.

(7) قلعجي: معجم لغة الفقهاء ص٣٢٢.

(8) القشيري: لطائف الإشارات ٣٧٦/٢.

(9) الزحيلي: التفسير المنير 107/1.

(10) السعدي: تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان ص304.

(11) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 4/ 578.

- الأولى بُشرى، والثانية تنبيه.
- الإيمان لا يكتمل إلا بالعمل الصالح، فهما قرينان لا ينفكان وجه الدلالة: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً﴾ (الفرقان: 70).
- الأولى جزاء وثمرة العبادة وهو أخروي، والثانية تناصح وتناصر وهو دنيوي.

- العمل الصالح في السنة النبوية:

كما وردت كلمة العمل في السنة النبوية بنحو ما تم وصفه في كتاب الله تعالى، فأوجه الدلالات متطابقة لقرب مشكاة التنزيل من مشكاة النبوة، فإخباره- ﷺ- بعظيم الأجر والثواب لمن قال أو عمل الصالحات دليل على نبوته وبشارته لأمته صلى الله عليه وسلم، وجه الدلالة: حديث عبد الله بن مخارق، عن أبيه قال: قال عبد الله: " إذا حدثتكم بحديث، أنبأتكم بتصديق، ذلك من كتاب الله قال: ما قال عبد: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وتبارك الله إلا قيض الله عليهن ملكاً يضجعهن تحت جناحه، ويصعد بهن إلى السماء، لا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجئ بهن وجه الرحمن، ثم تلا عبد الله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " [12]، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، قلت: فالعمل الصالح دون إيمان لا يُرفع إلى الله تعالى ابتداءً وانتهاءً.

والعمل الصالح أداء فرائض الله، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه. وقال الفراء: معناه، أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب، أي: يتقبل الكلام الطيب إذا كان معه عمل صالح [13].

فقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما روي عن الحسن وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك وغيرهم أنهم قالوا: والعمل الصالح يرفعه، أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب.

والقول الثاني: قول قتادة قال: والعمل الصالح يرفعه، أي: يرفعه الله.

والقول الثالث: والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب [14].

ومما يزيد المسلم طمعاً فيما عند الله تعالى، ذكر رسوله- ﷺ- بالمواسم والمناسبات التي يجب عليه اغتنامها في أداء العمل الصالح، رغباً في تحصيل المثوبة من الله تعالى، ووجه الدلالة: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء " [15]، والمراد بالأيام العشر، هي أيام العشر الأول من ذي الحجة.

قال ابن العثيمين: وقوله " العمل الصالح " يشمل الصلاة والصدقة والصيام والذكر والتكبير وقراءة القرآن وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الخلق وحسن الجوار وغير ذلك [16]، وجه الدلالة: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم، إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال: " لا خير فيها هي في النار "، قيل: فإن فلانة تصلي المكتوبة وتصوم رمضان وتتصدق بأثوار من أقط، ولا تؤذي أحداً بلسانها، قال: " هي في الجنة " [17].

---

(12) أخرجه الحاكم، كتاب التفسير، تفسير سورة الملائكة، رقم (3589).

(13) العسقلاني: فتح الباري، كتاب التوحيد 416/13.

(14) السمعاني: تفسير السمعاني ٣٤٩/٤.

(15) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب: فضل العمل في أيام التشريق 457/2 رقم (969).

(16) العثيمين: شرح رياض الصالحين 303/5.

(17) الحاكم: في المستدرك، كتاب الأطعمة، إن الله لا يعطي الإيمان إلا من يحب 232/5 رقم (7385)

- أهمية وحقيقة العمل الصالح في أقوال العلماء:

لقد ترامت أقوال العلماء بما يوضح ويجلي بيان أهمية وحقيقة الأعمال الصالحة ومدى وقورها في قلوب المسلمين، فكلما عليت همتهم زادت أعمالهم الصالحة، والعكس صحيح.. فمعتقد أهل السنة والجماعة الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وكذلك العبادات والأعمال الصالحة.. ومن تلك الأقوال:

أن من يعمل شيئًا من الطاعات فرضاً أو نفلاً، وهو موحد مسلم، مصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلا جحود ولا كفران لعمله، ولا يضيع جزاؤه، فالله حافظ لعمله [18].

وقال ابن عطية: ظاهر هذا الوعد بالجزاء الحسن أنه في الدنيا، وإن طيب الحياة اللازم للصالحين، إنما هو بنشاط نفوسهم، ونبلها، وقوة رجائهم، والرجاء للنفس أمر ملذ، فبهذا تطيب حياتهم، وبأنهم احتقروا الدنيا، فزالت همومها عنهم، فإن أنضاف إلى هذا مال حلال، وصحة، أو قناعة، فذلك كمال، فيكون قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، معناه: لنعطينه ما تطيب به حياته: وهو القناعة والرضا [19]، وجه الدلالة: قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 97).

من وسائل أهميته في التمكين من العمل الصالح؛ لأن الإنسان يحتاج إلى أن يختم عمله بالقربة، وأن يتدارك ما فرط في حياته، فشرعت الوصية تداركا لما فاته [20]، ووجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عملهُ إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " [21].. والشاهد من الحديث استمرار الثواب والأجر في العمل الصالح بعد انقطاع العمل بانقطاع الحياة.

وقال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، ثم زاد: فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل، ذلك بأن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [22].

مما ذكر أنفاً.. قلت: إن مسلمات العقيدة الإسلامية في تشريعاتها القولية والعملية في القرآن الكريم والسنة المطهرة مستفيضة واضحة، بل ومتعددة مترامية فهي تخاطب العامي والعالم ومن بينهما.. وهذه من خصائص التشريع الإسلامي الذي يُسهل على الجميع فهمها وتعلمها عند سماعها أو قراءتها.. فالكل مخاطب بها.

وإذا ما نظرنا إلى أقوال وسماعات العلماء الربانيين لتبينت لنا واتضحت صعائب المسائل، فهم مفاتيح العلوم والمعارف، فهم الذين آتاهم الله تعالى الحكمة والمعرفة والدراية. وعندها يمكن للباحثين استشفاف بعضاً من تلك الفوائد واللقط من بين سطورهم وجملهم.

المطلب الثاني: تحقيق متغيرات الحياة وقبول العمل الصالح.

1- تغير أنماط الحياة:

لم يدع رسول الهدى محمد بن عبد الله- ﷺ- خيرا لأمته إلا دلهم عليه، ولا سوء وشر إلا حذرهم منه، فمما نبه وحذر منه رسول الله- ﷺ- ما سيكون في آخر الزمان وتطاوله من الفتن والشرور، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يَبقَ من الدنيا إلا بلاء وفتنةٌ " [23]، فمن تلك المتغيرات ما تكون:

---

(18) الزحيلي: التفسير المنير ١٣٢/١٧.

(19) ابن عطية: المحرر الوجيز ٤١٩/٣. .

(20) الكاساني: بدائع الصنائع 330/7، والزيلعي: تبيين الحقائق 182/6.

(21) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (1631)

(22) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى 294/7، وذكره الطبري في تفسيره 240/19.

أ- في السلوكيات:

إن مفهوم السلوك في معطياته اللغوية والاصطلاحية ما يقرره وما يمارسه وما يصدر من الإنسان في نفسه من أقوال أو أفعال ثم ينعكس ذلك على الغير، فإذا كان متقبلاً فطرة وعقلا وشرعا تُقبل منه عند الخلق وعند الخالق سبحانه، ووجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: 105)، وعكس ذلك من عمل السيئات كانت حياته في شدة وضنك.

ب- في العلاقات الاجتماعية:

ذكر علماء الاجتماع بأن مخالطة الإنسان للأخريين على الوجه المتقبل أو المنفر ينعكس ذلك على طبيعة ردود أفعالهم تجاهه، فأفراد المجتمع في فطرة الله تعالى متناغمون، فالإنسان اجتماعي في فطرته، وإذا ما نظرنا إلى عهد التنزيل لوجدناهم يألفون ويؤلفون، ولكن عندما تغيرت أنماط الحياة تغيرت طبائع الناس مع الآخرين، ووجه الدلالة: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أشراط الساعة الفحش والتفحش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن " [(24)].

ج- في المعاملات:

إن المحصلة النهائية من انعكاس التصرفات تجاه الغير، وكذلك طريقة العلاقة معهم تتضح طبيعة التعامل معهم سلباً وإيجاباً، وكذلك مع أنفسهم التي بين جنبيهم فنتاج ذلك إما أم يكون معاملات:

دنيوية: وجه الدلالة: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يأْتِي على الناس زمان، لا يُبالي المرءُ ما أخذ منه أمِنْ الحلالِ أم من الحرامِ " [(25)].

أخروية: تتنوع الأعمال الصالحة، وهي جميع ما أمر الله تعالى به على وجه الوجوب والاستحباب من العبادات والمعاملات، فإذا قام بها المسلم ملاحظًا الطاعة لربه، والانقياد لشرعه، مبتغيًا بها وجه الله، فهو من أصحاب الأعمال الصالحة [(26)].

2- مقارنة بين السابقون الأولون والمسلمون المعاصرون:

1- السابقون الأولون: امتازت فترتهم بعلو الإيمانيات والهمة، ومن أمثلة ذلك:

- قالوا سمعنا واطعنا:

بل هم قالوا نحن نتبع ما عرفناه من دين الإسلام وما جاء به الكتاب والسنة من توحيد الله وعبادته لا شريك له فلا نعبد إلا الله وحده ونعبده بما أمر به رسوله وشرعه من الدين فما دعانا إليه رسول الله- ﷺ- وأمرنا به أطعناه وما جعله الرسول ديناً وقربةً وطاعةً وحسنةً وعملاً صالحاً وخيراً سمعنا وأطعنا لله ولرسوله واعتقدناه قربة وطاعة وفعلناه وأحببنا من يفعل به [(27)].

أهل الكتابين هم اليهود والنصارى. فاليهود كتابهم التوراة، وهي أشرف الكتب المنزلة بعد القرآن. والنصارى كتابهم الإنجيل وهو متم للتوراة. واليهود والنصارى عصوا أنبياءهم وقالوا: "سمعنا وعصينا"، فهل تريدون أن تكونوا

(23) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، باب: شدة الزمان رقم (4035)، وقال شعيب الأرنؤوط (إسناده قوي).

(24) السيوطي: الجامع الصغير، رقم (8208)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (5894).

(25) البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: من لم يبال من حيث كسب المال، رقم (1954).

(26) عبد الكريم العاني: أصول الدعوة (ص41).

(27) ابن تيمية: مجموع الفتاوى 382/35.

مثلهم؟ (ولكن قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير). هكذا يجب على المسلم إذا سمع أمر الله ورسوله أن يقول: (سمعنا وأطعنا) ويمتثل بقدر ما يستطيع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها [28].

- يؤثرون الآخرين على أنفسهم:

إن من أجّل وأسمى العلاقات الإنسانية تلك العلاقة القائمة على تفضيل الآخرين على النفس، ولا يُؤتى هذا الشعور وهذه المعاملة إلا من صاحب القلب التقي النقي، لقول النبي- ﷺ- عندما سُئل: أي الناس أفضل؟، قال: " كل مخموم القلب، صدوق اللسان "، قالوا: صدوق اللسان نعرفهُ، فما مخموم القلب؟، قال: " هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد " [29].

وإذا ما تأملنا تلك النفوس التي تنازلت عن أغلى ما تملك من أموال وحاجات للآخرين في وقت هي بأمس الحاجة إليها، فلا شك ولا ريب إنها نفوس أبيه محتسبة الثواب والأجر من الله تعالى، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿*وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ*﴾ (الحشر: 9).

- يسارعون ويسابقون في الخيرات:

إن من افرح الصفات التي بشر بها الله تعالى عباده الصالحين بأنهم يبادرون ويتنافسون في أعمالهم الصالحة سواء أكانت عبادات بشتى أنواعها، أم كانت سلوكيات ومعاملات أو حتى في النيات، فلما كانت تلك صفاتهم في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، كانت المسابقة والمسارعة والمبادرة في أداء هذه الأعمال الصالحة في الدنيا، لنيل ثواب الآخرة، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: 114).

2- المسلمون المعاصرون: امتازت هذه الفترة بانشغالهم بمستجدات العصر والتقدم العلمي، ومن أمثلة ذلك:

- تغليب العقل على النقل:

لقد ابتُلِيَت الأمم السابقة بأهل الكلام والرأي والنكران على رسلهم وأنبياءهم، ولم تكن أمة محمد- ﷺ- بمنأى عن ذلك، فما إن انتقلت من فترة الخلافة وأقبلت فترة الحكم العاض، حتى أطلت برأسها آفة القول بالرأي وتغليب العقل وتجاهل النقل والتنزيل بالوحيين الكتاب والسنة الصحيحة، فكان الضياع والضلال لهم ولمن تبعهم، قال ابن أبي العز: وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو إن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير [30]، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (الحج: 3- 4).

- زيادة القلق والاضطراب النفسي:

إن المتأمل في معطيات المجتمعات اليوم ليجد مما لا يدع مجال للشك بأن الكثير من الناس ولا سيما المسلم، ما يعانيه من كثرة القلق والاضطراب الذهني والنفسي، في حياته نتيجة للعديد من الأسباب، ولعل من أشدها وأوضحها عدم القناعة والرضا بما قدره الله تعالى له من وسائل وسبل العيش في حياته، ومن هنا كانت الزيادة في حالات الأمراض النفسية مما يؤدي في بعض الحالات إلى الانتحار أو المحاولة له، ووجه الدلالة: أن الرضا عن الحياة يعد سمة نفسية تتكون لدى الفرد من خلال تقييمه لنوعية الحياة التي يعيشها في ضوء ما لديه من

(28) العثيمين: شرح رياض الصالحين 320/2 – 327.

(29) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: الورع والتقى رقم (4216)، وصححه الألباني.

(30) ابن أبي العز: الطحاوية ص219.

مشاعر وأحاسيس واتجاهات وقدرة على التعامل مع البيئة المحيطة به، وما يشعر به من حماية وتلبية لحاجاته بصورة مرضية له، وقناعته بما يقدمه إليه والإحساس بالتقدير والاعتراف [(31)].

- البعد عن الدين، ومن بعض نتائج ذلك:

موجة الإلحاد:

لعل من أسوء ما تمر به هذه الأمة المحمدية من فتن وشرور مما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ظهور منكري الخالق جل جلاله بألوهيته وربوبيته وأسماءه وصفاته، بل وقولهم.. وبتناسخ الأرواح وغيرها، فقد بدأت موجة الإلحاد والزندقة في الكشف عن رأسها، فمن أمن العقوبة أساء الأدب، وهذا مما حذر منه النبي- ﷺ- أمته، ولعل مما يثبت نبوته، وجه الدلالة: ما روي عنه- ﷺ- بقوله: **" كيف أنتَ يا عبدَ اللهِ بن عمرو إذا بقيتَ في حُثالةٍ مِن النَّاسِ؟" قال: وذاك ما هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: " ذاك إذا مرَجَتْ أماناتُهم وعهودُهم وصاروا هكذا " وشبَّك بيْنَ أصابعِه قال: فكيف بي يا رسولَ اللهِ؟ قال: " تعمَلُ ما تعرِفُ ودَعْ ما تُنكِرُ وتعمَلُ بخاصَّةِ نفسِك وتدَعُ عوامَّ النَّاسِ "** [(32)].

قلة الوازع الديني..

لقد مر معنا أن معتقد أهل السنة والجماعة بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولما كان تطاول هذا الزمان على المسلم، واندماجه بمتغيراته وتتبع مخترعاته السريعة، مما أورث عنده ذلك الفتور وقلة إتيان العمل الصالح مع كثرته وسهولة فعله، ولكن هناك آفة أخرى ألا وهي الجهل بهذه الأعمال الصالحة، ووجه الدلالة: قول الإمام الشعبي رحمه الله: لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلاً، والجهل علماً [(33)]، والمراد بالعلم هنا (العلم الشرعي)

وهذا القول يدلل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: " لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة " [(34)].

3- عالمنا متغير!:

اقتضت حكمة الله تعالى بتغير الزمان وتطاول السنون منذ خلق الله تعالى هذا الخلق العظيم فجعل في كل حقبة أمرها ومآلها.. فقد أخبر سبحانه أن لكل زمان خاصته قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة: 48)، قال ابن السعدي: [قوله: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ**﴾ أيها الأمم جعلنا {**شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**} أي: سبيلا وسنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع.] [(35)]، فمما لا شك فيه ولا ريب أن كلما تطاول الوقت كلما كان الذي بعده أسوء منه، وجه الدلالة قوله صلى الله عليه وسلم: " اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم- ﷺ- " [(36)].

---

(31) جمال تفاحة: الصلابة النفسية والرضا عن الحياة لدى عينة من المسنين (دراسة مقارنة)، ص269 – 318.

(32) ابن حبان: صحيح ابن حبان، كتاب الرهن، باب: ما جاء في الفتن 281/13 رقم (5951).

(33) ابن أبي شيبة: المصنف، كتاب الفتن، ما ذكر في فتنة الدجال 669/8 رقم (5608)، وأخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور 473/7.

(34) أحمد بن حنبل: المسند، تتمة مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي 251/5 رقم (22160)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 229/1.

(35) ابن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، بتفسير كلام المنان ص234.

(36) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم (7068).

وإذا ما نظرنا لحالنا في زماننا هذا، وفيما يتعلق بموضوعنا (العمل الصالح في عالم متغير) وهذا ما نحن بصدد تناوله، فالعمل الصالح في هذا الزمان المتسارع الوتيرة المتقلب الأحوال، فقد اهتم الإنسان بما حوله من معطيات وتطورات في جميع مناحي حياته، حتى غدا يتماشى مع ما يتلقاه من تقدم علمي متسارع متغير هائل، مما جعله متأقلم في نشاطه وعمله بما حوله، وفي مقابل ذلك بدأت همته ونشاطه في إتيان العمل الصالح تفتر تارة وتثقل تارة أخرى..، ومن هنا كان بيان المولى عز وجل والنبي- ﷺ- للمسلم بالإحاطة والحذر من هذه المتغيرات وعدم التشتت والانقياد وراء ملهيات الدنيا، ووجه الدلالة: حديث حنظلة الأسيدي.. إلى قوله صلى الله عليه وسلم: " **والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، لكن يا حنظلة ساعة وساعة** " ثلاث مرات [37].

ومن هنا كانت أهمية وحقيقة العمل الصالح في حياة المسلم في كل زمان ومكان، وذلك من بعد مبعث نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، ووجه الدلالة: يعتبر التدين من المتغيرات القديمة- الحديثة المطروحة في الحياة المعاصرة، ويعد بشقيه الجوهري والظاهري من العناصر الأساسية للحياة الناجحة، المتوافقة والمتزنة. وإذا كان الدين – من منظور إسلامي –تعاليم إلاهية خُوطب بها الإنسان على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كانت التعاليم الدينية مجردة، فالتدين يقتضي أن ينزل المكلف تلك التعاليم المجردة على أفعاله وممارساته بمعطياته الزمانية والمكانية [38].

مما سبق ذكره وتناوله تتضح لدى الباحث أمورٌ.. منها:

- إن متغيرات الحياة أثرت سلباً على سلوكيات المسلم وعلاقاته الاجتماعية.
- إن فترة التنزيل داعم أساسي وقوي للعمل الصالح.
- البعد عن تعاليم الإسلام نتج عنه ما نلمسه اليوم من انتشار لموجة الإلحاد والقلق النفسي.
- إن متغيرات العصر أدت إلى فتور واضح في همة المسلمين تجاه العبادات والعمل الصالح.

المبحث الثاني: ضوابط وقواعد العمل الصالح

المطلب الأول: العلم بعظمة الخالق سبحانه:

لقد أعلمنا الله تعالى أن الحياة الدنيا حرث الآخرة فما زرعناه في هذه الحياة الفانية سنجده مسطوراً في صحائفنا عند خالقنا عز وجل يوم الحساب، ومما يرغب به ويتمناه العبد المسلم من ربه الغفور الرحيم، أن يُختم له فيها ـ الحياة الدنيا ـ بعمل صالح لعله يكون له به شافعاً عند الله تبارك وتعالى، فقد جاء في كتاب ربنا القرآن الكريم على لسان نبيه يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام، أن يختم الله تعالى له حياته بالثبات على الإسلام، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: 101). ومن عظمة الخالق سبحانه، عظيم رحمته وقدرته على حفظ عباده الصالحين في الدنيا.

فقد أجمع العلماء على أن التوفيق، ألّا يكل اللّه العبد إلى نفسه، وأجمعوا على أن الخذلان كل الخذلان أن يخلي بينه وبين نفسه، ووجه الدلالة: دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: " اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين " [39].

---

(37) مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، رقم (2750).

(38) سعاد عزيرو: دور التدين في تحقيق الصحة النفسية، ص 119.

(39) ابن القيم الجوزية: مفتاح دار السعادة 264/2.

المطلب الثاني: التذلل في العبادة والتعرض لنفحاته عز وجل:

إن مما يورث المسلم من التذلل لربه عز وجل في عبادته الورع والتقى والإنابة والشعور بالضعف والفقر في مقابل ما عند الله تعالى، وهو على كل شيء قدير، وهو الفعال لما يريد.. فكل هذه الصفات العظيمة الجليلة إذا استشعرها العبد المسلم في خالقه تبارك وتعالى، وجب عليه التذلل له سبحانه في عباداته الفعلية والقولية فهو علام الغيوب.

وهذا ما يرد بالخشوع، وهو الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي (40)، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿*إنّهم كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيْراتِ* ﴾ (الأنبياء: 90).

فمن أراد أن يجمح نفسه ويمنعها عن العُجب والغرور، فليعلم قدره وقدرته أمام خالقه وولي النعمة عليه، فلا يُعجَب بعبادته وتقربه لله تعالى، فمهما بلغ من تقوى وزهد وورع فإن هذا في حق الله لا شيء، فحسن الظن بالله هو عاقلة المسلم الفطن الكيس، الذي يرجو رضوان ربه في الدنيا، وحسن الثواب والمغفرة في الآخرة.

إذا ما عرف وأيقن العبد المسلم قدر ربه سبحانه وتعالى، عَلِم بأن متعة ولذة العبادة لا تكون إلا بالقرب من الله تعالى ولا يتحقق ذلك إلا بالتقلب والتنوع في أصناف العبادات التي شرعها عز وجل وفعلها رسوله محمد بن عبد الله- ﷺ- على الوجه الصحيح، فعندها تسمو وتعلو نفسه في همتها وطلب المزيد من الرضا والأُنس بما عند الله تعالى من الأجر والثواب.

فالإيمان قول، ولا قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنيَّة، ولا قول ولا عمل ولا نيَّة إلا بسنَّة (41).

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخرةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 9)؛ قال ابن كثير رحمه الله تعالى: [أي: في حال سجوده وفي حال قيامه؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما، ذهب إليه آخرون. قال الثوري، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: القانت المطيع لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن عباس، والحسن، والسدي، وابن زيد: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾، أي: جوف الليل. وقال الثوري، عن منصور: بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء. وقال الحسن، وقتادة: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾، أي: أوله وأوسطه وآخره] (42).

ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله، وكتابه، ووحيه، وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم، قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً (43)، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء: 192 – 195).

وإذا ما تأملنا حياة ويوم سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لوجدنها عامرةً بالإيمان والتعظيم لله تبارك وتعالى وصدّقت ذلك جوارحه بالعمل الصالح، فما أن يأتي وقت صلاة الفجر حتى يستعد لها بالطهارة والدعاء وأداء السنن، وإذا قُضيت الصلاة شرع- ﷺ- بالذكر الراتب من أذكار الصباح حتى تشرق الشمس فيأتي بصلاة الشروق، وأحياناً بعد الصلاة الفجر يتفقد أصحابه ، ثم يُقدم لهم من تعاليم الإسلام التي شرعها الله تعالى على عباده، فإذا أشرقت الشمس أنفض الناس من عنده- ﷺ- ليسعوا في رزق الله تعالى، في حين يقوم عليه الصلاة

(40) العثيمين: شرح ثلاثة الأصول ص156.

(41) الآجري: كتاب الشريعة 639/2.

(42) ابن كثير: تفسير ابن كثير 88/7.

(43) الصابوني: الرسالة ص37.

والسلام بتصريف أمور البلاد من استقبال للوفود، وتفقد لأحوال أمته.. وغيرها، وقبل أن يدنو وقت الظهيرة يتوضأ- ﷺ- لصلاة الضحى فيصليها.

وما إن يُؤذن لصلاة الظهر حتى يصلي سننها، ثم تقام الصلاة فيُصلي الظهر ويتطوع لها، ثم يدخل- ﷺ- إحدى أبياته فيأكل ما تيسر من الطعام، ثم يَقِيّلُ – الراحة بعد الظهر-، وإذا ما أُذن لصلاة العصر حتى يصلي بالناس ثم يشرع بالأذكار الراتبة، يقوم بعدها بتعليم أمته أمور دينهم، لينفضوا بعدها لتدبير أمور حياتهم لوقت المساء والليل، ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا ما تأملنا في أقوال رسول الله- ﷺ- لوجدنا فيها الكثير من شفاء القلوب وراحة الصدور، فقوله عدل ورحمة يوحى إليه من رب السماوات والأرض، فتتلقاها النفوس الطائعة التي فطرها الله تعالى على إتباع الحق ونبذ الكِبر والجهل.

والحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم، والصلاة، والتسبيح، ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن، ومن دلائله سوى ما سبق أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين، والنوافل المذكورة مختصة به [(44)]، وجه الدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم: " فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع " [(45)].

وعن أبي هريرة ◻ أن رسول الله- ﷺ- قال: " ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " [(46)]؛ قال العلامة ابن العثيمين رحمه الله تعالى: [ذكر المؤلف حديث أبي هريرة ◻ أن النبي- ﷺ- قال: " ما نقصت صدقة من مال "، يعني: أن الصدقات لا تنقص الأموال كما يتوهمه الإنسان، وكما يعد به الشيطان، فإن الشيطان كما قال الله عز وجل: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: 268). والفحشاء: كل ما يستفحش من بخل أو غيره فهو يعد الإنسان الفقر، إذا أراد الإنسان أن يتصدق.. وما تواضع أحد لله إلا رفعه هذا الشاهد من الحديث: ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله والتواضع لله له معنيان:

المعنى الأول: أن تتواضع لدين الله، فلا تترفع عن الدين ولا تستكبر عنه وعن أداء أحكامه.

والثاني: أن تتواضع لعباد الله من أجل الله، لا خوفاً منهم، ولا رجاء لما عندهم ولكن لله عز وجل.] [(47)].

فما أجمل أن تُطوعَ النفس المطيعة لله تعالى جُل أعمالها وأقوالها للتواضع والهين واللين في الأمور كُلها ما لم يكون فيه تعدٍ أو استنقاص من قدر الإسلام أو المهانة للنفس، وهذا لا يعني الإذلال والمهانة للخلق، فإن صمام الأمر كله في العدالة والرضا بحسن التأدب والرقي في التعامل والأقوال.

أن الرضا بالله يستلزم الرضا بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه، بل حقيقة العبودية: أن يوافقه عبده في رضاه وسخطه. فيرضى منها بما يرضى به. ويسخط منها ما سخطه [(48)].

فمن استقام لنا استقمنا له، ومن تعدى وظلم وله منا الرد والصد، فالأصل عندنا أهل السنة والجماعة المؤمنون أشداء على الكفار رحماء فيما بينهم.

---

(44) النووي: المجموع 21/1.

(45) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، فضل العلم أحب من فضل العبادة وخير دينكم الورع 283/1 رقم (321).

(46) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع 2001/4 رقم (2588).

(47) العثيمين: شرح رياض الصالحين 524/3 (بتصرف).

(48) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ص195.

فأصحاب الحديث، يتحابون في الدين، ويتباغضون فيه، ويتقون الجدل في الله والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات [49]، ووجه الدلالة: قول الله تعالى: ﴿*أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ*﴾ (الفتح: 29).

المطلب الثالث: الحرص على متابعة هدي الرسول صلى الله عليه وسلم:

المتابعة في اللغة: [من تَبِعَهُ: إذا مشى خلفه أو مرّ به فمضى معه، وكذا اتَّبَعَهُ: إذا كان قد سبقه فلحقه، وقال الأخفش تَبِعهُ وأتْبعهُ: بمعنى ردفه وأردفه، والتَبِيعُ: التابع] [50].

إن من حكمة التشريع الإلهي الذي أوجبه الخالق عز وجل هو إتباع هدي النبي الأُمي صلى الله عليه وسلم، وهذا الخطاب موجه لجميع الخلق دون استثناء، فمن أراد أن يجمح نفسه من العُجب في عبادته لله تعالى، أن يحرص ويسعى إلى متابعته والتأسي به- ﷺ- في كُل شيء.

وإنما ينفع العبد الحب لله لما يحبه الله من خلقه كالأنبياء والصالحين؛ لكون حبهم يقرب إلى الله ومحبته، وهؤلاء هم الذين يستحقون محبة الله لهم" [51].

فإذا ثبت الكلام المنسوب إلى رسول الله- ﷺ- من ناحية الإسناد ومن ناحية المتن، فإنه لا مفرَّ من إتباعه، وليس للمؤمن أو المؤمنة الخيرة في ذلك [52]، وجه الدلالة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21).

قال ابن السعدي رحمه الله تعالى: [قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، بنفسه فيه؟ فَتَأَسَّوْا به في هذا الأمر وغيره.

واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللّه، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 22)، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو اللّه، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف اللّه، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول- ﷺ-] [53].

ومن هنا.. لم تكن لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضيلة ترفعهم بها عند الله تعالى، على ما هم فيه من ذبهم لدين الله تعالى ودفاعهم عنه وعن رسول الله- ﷺ- بأنفسهم وأموالهم، ومن علو تقواهم وصدق إيمانهم وخشوع في عباداتهم، وفضائل أعمالهم وورع في سرائر نفوسهم.

(49) الصابوني: الرسالة ص129-130.

(50) الرازي: مختار الصحاح ص 74.

(51) ابن تيمية: مجموع الفتاوى 610/10.

(52) مصطفى السيد: الإتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن الكريم 116/1.

(53) السعدي: تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان 660/1.

إذا رأيت رجلاً يذكر أصحاب رسول الله- ﷺ- بسوء فاتهمه على الإسلام [54]، وجه الدلالة: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه " [55].

إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومَن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتد بهم في الإجماع، إحسانا للظن بهم ونظرا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نَقَلةَ الشريعة [56].

أعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم، لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 110).

فهم أكثر من تأسوا واقتدوا بقائدهم وإمامهم وملهمهم، الذي إذا تكلم سكتوا، وإذا أمر أطيع، وإذا قام بأمرٍ ما قاموا معه دون تردد أو سؤال، وإذا نهى عن شيء امتنعوا دون استفسار أو طلب بيان واستيضاح، فلا يُرد له قول صلى الله عليه وسلم، ولا يعصى له أمر – كما سيأتي بإذن الله تعالى.. كما علمهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ولمن جاء بعدهم وعنا معهم إلى يوم الدين، فالحق أحق أن يتبع فرضي الله عنهم أجمعين في الأولين والآخرين.. آمين

ومن تلك الأمور التي يجب على العبد المسلم أن يقتدي بها في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، هو السمع والطاعة وهذا أمرٌ أوجبه الله تعالى علينا جميعاً.

فقد أجمعوا على التصديق بما جاء به رسول الله- ﷺ- في كتاب الله تعالى، وما ثبت به النقل من سائر سننه، ووجوب العمل بمحكمه، والإقرار بنص مشكله ومتشابهه، ورد كل ما لم نحط به علماً بتفسيره إلى الله تعالى مع الإيمان بنصه [57]، ووجه الدلالة: قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: 7)؛ قال ابن كثير رحمه الله تعالى: [وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }، أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر] [58].

ومما لا شك فيه أن النفس البشرية تواقة لمعرفة ومتابعة كل ما هو غريب ومستجد في حياتها، من تلك الغرابات كالعلوم والمعارف التي تُستجد وتطرأ على العبد المسلم، لاسيما فيما يتعلق بتواريخ الأمم السابقة من عادات وعبادات وسلوكيات.. وغيرها.

ويعتقدُ ويشهدُ أصحابُ الحديث أنَّ عواقبَ العباد مُبهَمَةٌ، لا يدري أحدٌ بما يُختم له، ولا يحكمون لواحدٍ بعينه أنّه مِن أهلِ الجنّة، ولا يحكمون على أحدٍ بعينه أنَّه مِن أهلِ النّار، لأنّ ذلك مُغيّبٌ عنهم، لا يعرفون على ما يموتُ عليه الإنسانُ، ولذلك يقولون: (إنَّا مؤمنون إن شاءَ اللهُ)، أي: مِن المؤمنين الذين يُختم لهم بخيرٍ إن شاءَ الله، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: 65) [59].

---

(54) الالكائي: شرح أصول الاعتقاد 220/2، وابن تيمية، الصارم المسلول 3/ 1058.

(55) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة 8/5 برقم (3673)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة 589/9 برقم (2540) واللفظ له.

(56) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ص491.

(57) الفاسي: الإقناع في مراتب الإجماع 52/1.

(58) ابن كثير: تفسير ابن كثير 67/8.

(59) الصابوني: الرسالة ص111.

فمن هنا كان لرسول الله- ﷺ- موقف يُعلم به أُمته من تقبل تلك الغرابات أو دفعها، فعن جابر بن عبد الله ﭭما قال: أن عمر بن الخطاب ﷺ أَتى النبي- ﷺ- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي- ﷺ- فغضب، فقال: " أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى- ﷺ- كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني " [60]؛ قال أحمد البنا رحمه الله تعالى: [قوله: " أمتهوكون " كمتحيرون، وزناً ومعنىً، أي: متحيرون في كتابكم وفي دينكم، حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم، وفي رواية: " كما تهوكت اليهود والنصارى "، أي: كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا اهوائهم، وقوله: " بيضاء نقية "، أي: بالملة الحنيفية بقرينة الكلام، ظاهرة صافية خالصة من الشك والشبهة] [61].

قال الصنعاني رحمه الله: فإذا تشبه بالكافر في زيٍ واعتقد أنه يكون بذلك مثله كفر، فإن لم يعتقد ففيه خلاف بين الفقهاء، منهم من قال: يكفر وهو ظاهر الحديث، فهو منهم، ومنهم من قال: لا يكفر ولكن يؤدب. وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على حرمة التشبه بالكفار في أعيادهم في وقت الصحابة رضوان الله عليهم [62]، وجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " من تشبه بقوم فهو منهم " [63]. قال شيخ الإسلام هذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم؛ لأن معنى قوله: (فهو منهم) ظاهره كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: 51) [64].

ولهذا أراد النبي- ﷺ- أن يؤصل لأُمته، بأن قبول العبادة ليست بعُجب أحد بمن سبق أو تقليد من يشاء، وإنما الأصل في ذلك صحة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يدخلوا في دين الله الذي هو الإسلام، وأن يلتزموه، وأنه لا يسوغ لأحد الخروج عن ذلك، لا إلى يهودية ولا إلى نصرانية ولا إلى غيرهما، بل المفروض على جميع المكلفين من حين بعث الله نبيه ورسوله محمداً- ﷺ- إلى قيام الساعة: هو الدخول في الإسلام والتمسك به، ومن اعتقد أنه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد- ﷺ- كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام، فهو كافر بإجماع أهل العلم، يستتاب وتبين له الأدلة، فإن تاب وإلا قتل، عملا بما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عموم رسالة محمد- ﷺ- إلى جميع الثقلين. والله المستعان [65]، وجه الدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم: " من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني، فلم يؤمن بي لم دخل الجنة " [66]؛ قال العلامة ابن العثيمين رحمه الله تعالى: [وظاهر الحديث أن مجرد السماع تقوم به الحجة؛ لأنه قال: " لاَ يَسْمَعُ بِي".. ولكن قيّد هذا الإطلاق بسماع يُبَيّن به الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم: 4). لماذا؟ { لِيُبَيِّنَ لَهُمْ }، فلابد أن يحصل البلاغ الذي تقوم به الحُجة] [67].

أما هذه الأمة المحمدية المباركة التي جعلها الله تعالى خاتمة الأمم.

---

(60) إبن كثير: البداية والنهاية 122/2، وقال: إسناده على شرط مسلم، رواه أحمد 387/3، وحسنه الألباني: الإرواء - رقم (1589).

(61) أحمد الساعاتي: الفتح الرباني، 175/1.

(62) الصنعاني: سبل السلام 248/8.

(63) أبو داود: سنن أبو داود، كتاب اللباس، باب: في لباس الزينة برقم 4031.

(64) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم 1/ 270.

(65) ابن باز: مجموع فتاوى ابن باز 188/2.

(66) أحمد بن حنبل: المسند، مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري 496/4 رقم (19536).

(67) العثيمين: التعليق على مسلم، 490/1-491.

فاتفقوا أن دين الإسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين بعده أبدا، وأن من خالفه ممن بلغه: كافر مخلد في النار أبدا [68]، ووجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: 3).

فإن نسائم الله تعالى ورحماتهُ بهم كثيرة، وبشائرهُ لهم تترا، متتالية متعاقبة إلى قيام الساعة، وذلك بإخبار وتباشير نبي الرحمة محمد بن عبد الله- ﷺ- لهم في السابقين الأولين ولمن جاء بعدهم إلى يوم الدين.. فمنها، ما ورد عن ابن محيريز، قال: قلت لأبي جمعة رجل من الصحابة: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم أحدثك حديثاً جيداً: تغدينا مع رسول الله- ﷺ- ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فقال: يا رسول الله، أحدٌ خير منا؟ أسلمنا وجاهدنا معك؟ قال: " نعم، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي، ولم يروني "[69]، وهذا الحديث ذو دلالات كثيرة يمكن استنباطها فنمها:

1- بشارته- ﷺ- بمن سيأتون من أمته ففيهم الخيرية في العلم والعمل، والدعوة والدفاع عن سنته والتراحم فيما بينهم.. وغيرها كثير.
2- ومنها كذلك بلوغهم درجة المجاهدين مع تفاوت الصحبة والأسبقية للأولين السابقين من الصحابة ،
3- ومنها المتابعة لهدي النبي- ﷺ- في جميع عباداته وأفعاله وأقواله وأخلاقه ومعاملاته وسمته صلى الله عليه وسلم، وإلا فكيف تكون الخيرية دون تحقيق المتابعة الصحيحة، من الإخلاص في العبادة لله تعالى والإتباع لهديه صلى الله عليه وسلم، وهذا هو محك قبول العمل وبالتالي نيل بشارة النبي- ﷺ- وهي شفاعته والقرب منه يوم القيامة.. ثم إن هنا فوائد أكثر مما أوردناه نُرجئها خشية الإطالة.

لقد أخبرنا رسول الله- ﷺ- بمن سيأتي آخر الزمان ممن يلمزون ويطعنون في أصحاب رسول الله- ﷺ- من قريب أو بعيد سراً أو جهراً، حتى جاء خلفٌ من بعدهم لم يَقدرّوا للصحابة قَدرهمُ فخاضوا فيما ليس لهم به من علم، فهؤلاء يتحتم بل يجب عليهم وجوباً فهم مقوله هذا الصحابي الجليل عبد اللّه بن مسعود ﷺ حين قال: [من كان منكم مستنّاً فليستنّ بمن قد مات، إنّ الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمّد كانوا أفضل هذه الأمّة: أبرّها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً. اختارهم اللّه لصحبة نبيّه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتّبعوهم على أثرهم وسيرتهم فإنّهم كانوا على الهدى المستقيم] [70].

ونحب أصحاب رسول الله- ﷺ- ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }[71]، (الحشر: 10).

---

(68) ابن حزم: مراتب الإجماع ص267.

(3) الدارمي: سنن الدارمي، باب: في فضل أخر هذه الأمة 398/2 رقم (2786)، وفتح الباري (9/7)، وصححه العلامة الألباني: مشكاة المصابيح رقم (6282).

(70) ابن القيم الجوزية: إغاثة اللهفان 159/1.

(71) ابن أبي العز: الطحاوية ص 528.

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " [72].

وأهل السنة والجماعة يعرفون للصحابة قدرهم، وأنهم خير القرون بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم " [73]، فالصحابة خير هذه الأمة بلا شك، ولكنهم على مراتب: بعضها أفضل من بعض [74].

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي يرتبونهم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، ولكن لا يلزم من كون أبي بكر أفضل الصحابة ألا يتميز أحد من الصحابة عن أبي بكر بمنقبة خاصة [75]، وجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ " [76].

وقوله صلى الله عليه وسلم: " أرْأَف أمتي بأمتي أبو بكرٍ " قلت: وهذا دليل استخلافه بعده- ﷺ- [77].

كذلك أيضاً أهل السنة والجماعة يقولون: أن بعض الصحابة له مزية ليست لغيرهم فيجب أن ننزلهم في منازلهم، فإذا كان الصحابي من آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام كعلي بن أبي طالب، وحمزة، والعباس، وابن عباس وغيرهم فإننا نحبه أكثر من غيره من حيث قربه من الرسول عليه الصلاة والسلام، لا على سبيل الإطلاق. فنعرف له حقه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه لا يلزم من ذلك أن نفضله على غيره تفضيلاً مطلقاً ممن له قدم راسخ في الإسلام أكثر من هذا القريب من الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن المراتب والفضائل هي صفات يتميز الإنسان بصفة منها لا يتميز بها الآخر [78]، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: 10).

وإلى من حادوا عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه من أنفع النصائح التي يجب أن يحرص عليها المسلم كالإخلاص في العبادة والتعامل مع الآخرّين في المنشط والمكره، كزيارة المرضى والسعي على الأرامل والأيتام والضعفة من الرجال والنساء بالمال والجهد وإن كان قليلاً. وليس الأمر كما يدعي بعض العُباد والزُهاد في الدنيا ممن التزموا المساجد واعتزلوا الناس، مُدعين بالتفرغ للعبادة وعدم الانشغال بالدنيا الفانية – زاعمين –، بل سن لنا رسول الهُدى- ﷺ- بتخصيص بعض العبادات تكون في البيوت أولى من أدائها في المساجد كالسنن البعدية مثلاً، فالنبي- ﷺ- قال في صلاة التطوع: " اجعلوا هذه في البيوت ". ومن نظر في سير الرسول- ﷺ- لوجد أنه كان يعود المرضى ويهتم بشئون الناس على اختلاف أديانهم، وهو الزاهد الورع في هذه الدنيا، وكذلك فعل الصحابة ▯ حيث كانوا يمارسون حياتهم على الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، فللعبادة أوقاتها ولكسب الرزق والعمل والسعي

---

(72) الفوزان: كتاب التوحيد ص97، والحديث رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة 589/9 رقم (2540).

(73) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور. رقم (2651).

(74) العثيمين: منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل ص 39.

(75) العثيمين: منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل ص40.

(76) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النبي ▯ لو كنت متخذا خليلاً رقم (3461).

(77) الألباني: صحيح الجامع، عن عبد الله بن عمر، رقم (868)، وقال: صحيح.

(78) العثيمين: منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل ص41، وانظر كتاب التوحيد د. صالح الفوزان ص89.

في الدنيا للعيش فيها بالكفاف وسد عوز النفس وقته، وهذا بدل طلب الحاجة من الناس وسؤالهم العطية كما يفعل بعض مدعي الزهد والورع، من جلوسهم في المساجد وساحاته يصلون ويصومون حتى تُحمد أفعالهم لدى العامة من المسلمين، فينتظرون تفضل الناس عليهم بالعطية من مال وطعام وخلافه.. فشتان بين المُتعبد الجاهل في مقاصد الدين والشريعة، وبين العالِم في تقوى الله تعالى وحسن العمل في تصاريّف الحياة وفق شريعة سيد المرسلين- ﷺ- والتأسي به والتزام سنته عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: شروط قبول العبادة الحقة

إن عِظم العبادة من عِظم المعبود، وهو الله تعالى الحق المبين، فمن تأمل صنوف العبادات في شريعة رسولنا محمد- ﷺ- والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قبله، لعلم علم اليقين بأن لهذا الكون الفسيح إلهاً عظيماً خالقاً متصرفاً، لا شريك ولا ند له تبارك وتعالى.

فطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول، ولا قول فلان. ووجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: 36) [(79)].

، لهذا فقد وجه سبحانه وتعالى نبينا محمد- ﷺ- إلى إفراده بالعبادة والاتكال عليه مع شكره على جزيل عطاياه في الأمور والأحوال والنعم كلها، قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الزمر: 66)، وكذلك نبهه سبحانه وتعالى لكثرة الاستغفار له ولامته المباركة، بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد: 19)، ولما كانت العبادة تحتاج لجهد ومثابرة، فقد حثه عز وجل على التخلق بصفة عظيمة وهي الصبر، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ (مريم: 65).

ولتحقيق العبودية الحقة لا بد من تحقيق قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة: 5)، فهي عِقالُ الأمرِ كُلهِ لما تحتويه تلك الآية من أمورٍ غاية في الأهمية نوردها بما يلي:

المطلب الأول: الإخلاص للمعبود الحق:

إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له، قال تعالى مخاطباً حبيبه رسولنا- ﷺ- ومحذراً له: ﴿*لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ*﴾ (الزمر: 65)، فمن هنا كان لزاماً على من أراد السعادة في الدنيا، والنجاة من عقاب الله تعالى في الآخرة، أن تكون جميع أعماله وأقواله وحركاته وسكناته وعطائه ومنعه كله لله وفي الله تعالى، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿*قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*﴾ (الأنعام: 162).

ولو تفكرنا ملياً في قدرة الله تعالى وعظمته سبحانه وتعالى، لعلمنا يقيناً بأنه عز وجل لا تنفعه عبادة خلقه له، ولا تضره سبحانه معصيتهم شيئاً، فهم المحتاجون إليه ابتداءً وانتهاءً، أما هو سبحانه فقد بيّن عظيم قدرته ونعمه وتفضله على جميع خلقه في آيات كثيرة في كتابه العزيز، وفي نفس الوقت قد حذرهم الله تعالى من التكبر والعصيان وإتباع الشيطان الرجيم، وإتباع هوى النفس من الشرك والكفر به، أو حتى الصد والانشغال عن عبادته، وإتباع أوامره والوقوع فيما حذرهم من فعله. فإن ذلك الأمر مهلك لصاحبه في الدنيا قبل الآخرة.

بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه

(79) ابن أبي العز: الطحاوية ص 399.

رحاه (80)، ووجه الدلالة: قول رسول الله- ﷺ- في الحديث القدسي: " قال الله تعالى: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " (81).

وإذا كان الإخلاص في النيات هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال، فإن الإخلاص في أداء الأعمال مكملاً لنية سلامة الاعتقاد، ولهذا ينبغي للعبد أن يبتعد كل البعد عما يشوب عبادته وأعماله وأقواله في مرضات الله تعالى.

فالإخلاص، هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده. وقيل: تصفية السر والقول والعمل (82)، ووجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً﴾ (مريم: 51).

وهناك أمور تغضبه سبحانه منها الرياء يقول الإمام ابن الجوزية رحمه اللّه تعالى: [عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد يرجو بذلك قربه من قلوبهم، وينسى أن قلوبهم بيد من يعمل له. فإن رضي عمله ورآه خالصاً لفت القلوب إليه، وإن لم يره خالصاً أعرض بها عنه] (83).

وحتى في شؤون حياتنا التي تتطلب السعي في كسب الرزق جُعل الإخلاص فيها كثواب الساعي في سبيل الله تعالى من الأجر والمثوبة.

وإنما المفيد العمل الصالح بعد الإيمان، والذي يدل عليه هو أن المال والولد يشغل عن الله، فيبعد عنه فكيف يقرب منه، والعمل الصالح إقبال على الله، واشتغال بالله، ومن توجه إلى الله وصل، ومن طلب من الله شيئًا حصل (84)، وجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (الكهف: 46). فقد مَرّ على رسول الله- ﷺ- رجل، فرأى أصحاب رسول الله- ﷺ- من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنْ كان خرَج يسعى على ولده صِغارًا فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرج يسعى على أبوَيْن شيخَيْن كبيرَيْن فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرج يسعى على نفسه يعفُّها فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرج رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان " (85).

فالمؤمن الحق بلا شك موعود بالسعادة الدنيوية ولذة النعيم في حياته الآخروية، وهذا من توفيق الله تعالى له ورحمته به وتسديده إياه، فهو على خير ما دامت نيتهُ الاعتقادية والعملية والقولية، كلها خالصة لمعبوده الحق وهو الله تعالى الملك القدوس دون شرك ولا رياء، فهو الفالح المُسدد بإذنه تعالى. وجه الدلالة: وعدم الرضا عن الحياة من العوامل المؤثرة في الشخصية والسلوك، والتي تنتج الشخصية القلقة التي لا تشعر بالراحة ولا تجد للحياة معنى، فالشخصية القلقة هي تلك الشخصية التي لا تستطيع أن تحقق إنجازا أو إبداعا، وإنما تضطرب في صور متعددة مما يدعو إلى ضرورة العودة إلى الدين، فلا يمكن للحياة أن تستمر على وتيرة واحدة بل تعتريها بعض الصعاب والهموم التي تعكر صفو الحياة وتجعل الإنسان يعيش مهموما لفترة ما، لكن إذا ما نظر إلى حقيقة الأمر ورجع إلى دينه عندئذ يعيش سعيدا بلا هموم (86).

---

(80) ابن تيمية: مجموع الفتاوى 49/10.

(81) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله 2289/4 رقم (2985).

(82) الكفوي: الكليات ص64.

(83) ابن الجوزي: صيد الخاطر 122/1.

(84) الرازي: مفاتيح الغيب ٢٠٩/٢٥.

(5) الطبراني: المعجم الكبير، باب: عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجره 129/19 رقم (15640)، وصححه العلامة الألباني في (صحيح الجامع: 1428).

(86) شلبي: الرضا عن الحياة وعلاقته بتقدير الذات والوحدة النفسية، في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية، لدى الأخصائي الاجتماعي ص135.

المطلب الثاني: صحة المتابعةً لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم:

مما يجب الانتباه له عند أداء العبادات العملية والقولية الأخذ بمتابعة رسول الهُدى محمد- ﷺ- بأن تكون على منهاج السنة الصحيحة الواضحة البينة، فقد أمرنا الخالق عز وجل في كتابه العزيز بوجوب إتباعه في الكثير من الآيات الكريمات.

ومعلومٌ باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول- ﷺ- في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم، في أصول الدين وفروعه [87]، ووجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: 80).

إذاً الخير كل الخير بإتباعه- ﷺ- على الوجه الصحيح الواضح الجلي، فعلى من أراد السعادة والنجاة في الدارين أن يتحرى ويتحقق من الأفعال والأقوال التي كان يفعلها ويقولها النبي- ﷺ- فهي متوافرة ومنتشرة بحمد الله تعالى فقد قيض سبحانه من عباده من ذبوا عن سنة رسول الله محمد- ﷺ- على طول الزمان فسطروا الكتب والمؤلفات التي نقت وغربلت الخبيث والطالح مما أحدثه أهل الزيغ والظلال في سنته- ﷺ- من الأقوال والأفعال الباطلة.

أهل الإسلام والسنة، يفرقون بين الصحيح والسقيم والمعوج والقويم، وغيرهم من أهل البدع والكفار إنما عندهم منقولات يأثرونها بغير إسناد، وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل [88]، ووجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " [89].

ومنها الزيادة في الدعاء مما يذهب بالتوحيد وصدق التوكل على الله تعالى الذي أُمر المسلم بإتباعه، ومن تلك الأدعية ما يسمى بالذكر الجماعي بعد أداء فريضة الصلاة، أو الأدعية عند الوضوء بذكرها عند غسل كل عضو من أعضاء الوضوء، وكذلك الأخطاء في الأقوال الحياتية اليومية كقولهم لولا الله وفلان لما أنجزت معاملتي، ومنها قولهم، وفي الأعمال التعبدية كالزيادة في أعمال العمرة والحج من التمسح في جميع أركان البيت الحرام مثلاً، أو الصعود على ما يسمى بجبل الرحمة في عرفة اعتقادا منهم بأن الوقوف بعرفة وصحة الحج لا تكون إلا عند تحقيق الوقوف عليه، ومن الأعمال التي يقوم بها بعض المسلمين – هدانا الله تعالى وإياهم – القيام بها عند زيارتهم للمدينة المنورة بالحرص على زيارة جبل أحد، وزيارة جميع المقابر للصحابة بالبقيع وشهداء الخندق وأحد.. وغيرها.

ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، ولم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا استحب ذلك احد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله: فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة [90].

أما السفر لزيارة قبره- ﷺ- بيان قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو يرد على خصمه ما نصه: ظن أن السفر إلى زيارة نبينا كالسفر إلى غيره من الأنبياء والصالحين وهو غلط من وجوه:

- أحدها: أن مسجده عند قبره والسفر إليه مشروع بالنص والإجماع بخلاف غيره.
- والثاني: أن زيارته كما يزار غيره ممتنعة؟ وإنما يصل الإنسان إلى مسجده وفيه يفعل ما شرع له.

---

(87) ابن تيمية: مجموع الفتاوى 37/7.

(88) ابن تيمية: مجموع الفتاوى 10/1.

(89) أبو داود، سنن أبو داود، كتاب الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة. رقم (4291)، وصححه الحاكم 567/4.

(90) ابن تيمية: مجموع الفتاوى 187/27.

- الثالث: أنه لو كان قبر نبينا يزار كما تزار القبور؟ لكان أهل مدينته أحق الناس بذلك كما أن أهل كل مدينة أحق بزيارة من عندهم من الصالحين فلما اتفق السلف وأئمة الدين على أن أهل مدينته لا يزورون قبره بل ولا يقفون عنده للسلام إذا دخلوا المسجد وخرجوا وإن لم يسمى هذا زيارة، بل يكره لهم ذلك عند غير السفر كما ذكر ذلك مالك وبين أن ذلك من البدع التي لم يكن صدر هذه الأمة يفعلونه: علم أن من جعل زيارة قبره مشروعة كزيارة قبر غيره فقد خالف إجماع المسلمين.
- الرابع: أنه قد نهى أن يتخذ قبره عيدا وأمر الأمة أن تصلي عليه وتسلم حيث ما كانت وأخبر أن ذلك يبلغه. فلم يكن تخصيص البقعة بالدعاء له مشروعا ؛ بل يدعى له في جميع الأماكن وعند كل أذان وفي كل صلاة وعند دخول كل مسجد والخروج منه بخلاف غيره. وهذا لعلو قدره وارتفاع درجته. فقد خصه الله من الفضيلة. بما لم يشركه فيه غيره ؛ لئلا يجعل قبره مثل سائر القبور ؛ بل يفرق بينهما من وجوه متعددة ويبين فضله على غيره وما من الله به على أمته [(91)].

وكذلك الصلاة فيما تسمى بالمساجد السبعة، اعتقادا بأنها واجبة عند الزيارة.

ولهذا لو نذر السفر إلى مسجد قباء لم يوفِ بنذره عند الأئمة الأربعة وغيرهم، بخلاف المسجد الحرام فإنه يجب الوفاء بالنذر إليه باتفاقهم [(92)]، وجه الدلالة: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى " [(93)].

ومن تلك الأعمال الموسمية الخاطئة ما يسمى بالاحتفال بالمولد النبوي والتحضيرات والاستعدادات له بتجهيز وتوزيع الأطعمة والمشارب وكذلك نصب الزينة، وإلقاء القصائد بالنبي- ﷺ- ومدحه..

اتفق العلماء من السلف الصالح رحمهم الله على أن الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من المواسم غير الشرعية، أمر محدث مبتدع في الدين، ولم يؤثر ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه، ولا عن التابعين وتابعيهم، ولا علماء الأمة المشهورين؛ كالأئمة الأربعة ونحوهم [(94)].

من تلك البدع الاحتفال في ليلة الإسراء والمعراج.. وغير ذلك كثير، ومن تلك المواسم المبتدعة الاحتفال بأعياد الميلاد، وعيد الأم، وعيد الحب.. إلخ.

ومما ينبغي التنبيه عليه كذلك البعد عن التشدد والتنطع في أداء العبادات الفعلية والقولية فمن حديث أنس بن مالك ؓ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي- ﷺ- ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله- ﷺ- إليهم، فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [(95)]، فهذا على أن قبول

---

(91) ابن تيمية: مجموع الفتاوي 2/ 242.

(92) ابن تيمية: مجموع الفتاوى 42/31

(93) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: فضل الصلاة في مكة والمدينة، رقم (1132)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، رقم (1397)، واللفظ له.

(94) التويجري: البدع الحولية 195/1.

(95) البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح 2/7 رقم (5063).

العبادات لا يكون بالتشدد وإتباع الهوى وتلاعب الشيطان فكم من مريد للخير لم يبلغهُ، لذلك كان قوله- ﷺ- حكمٌ فصل: " فمن رغب عن سنتي فليس مني ".

وأما أولئك الذين أحدثوا أموراً لا أصل لها في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فكذلك تصدى لهم من العلماء الأفذاذ الذين بينوا الصحيح من السقيم مما ابتدعوه في دين الله تعالى وذلك مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"[96]، قال ابن حجر العسقلاني: معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه [97].

ومما زاد الأمر حرصاً في إتباع هدي النبي- ﷺ- ما كان يحرص عليه صحابته - ﷺ- من تتبع أعماله وأقواله بل جميع شئونه، فهم الذين نقلوا لنا هذا الدين العظيم الخالد وهذه السنة العطرة النقية الواضحة التي تركنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد أجمع المسلمون على أنّ من استبانتْ له سنة رسول الله- ﷺ- لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان [98]، وجه الدلالة قوله صلى الله عليه وسلم: " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد " [99].

فهذا الحرص لأكبر دليل على وجوب متابعته- ﷺ- في جميع ما أمر به أمته، وحثهم عليه من الأفعال والأقوال الصالحة النافعة التي يثاب عليها المسلم ويؤجر عليها في الدنيا والآخرة، فإن الخير لا يعدم من عموم الأفعال والأقوال وإن قلت، فربما شوكة أو أذى يزيحه العبد المسلم أو غيره عن طريق الناس يُثاب عليه، وكذلك كلمة حق أو دعوة صادقة من لسان مسلم تصعد بها أعماله عند الله إلى أعلى الجنان.. فالمسلم لا يُحرم الأجر في كل شئون حياته.

وقد عرفه المناوي بقوله: الكسب: ما يجري من الفعل والقول والعمل والآثار على إحسان قوة عليه [100].

ومما يجب التنبيه إليه كذلك البعد عما نهى الله تعالى ورسوله- ﷺ- عنه من الأفعال والأقوال، فربما كلمة صغيرة يتلفظ بها المسلم تهوي به في دركات جهنم، وأما الذين يعملون أو يتقولون ما تُملي عليهم أهواءهم ونفوسهم المريضة في دين الله تعالى وسنت رسوله عليه الصلاة والسلام فالأصل عندنا أهل السنة والجماعة الدفاع عن دين الله تعالى الحق ومواجهة أهل الباطل أينما كانوا ومن كانوا.

وأما من أراد العبادة بإتباع هواه دون تثبت ولا علم صحيح ولا دراية، ولا سؤال أهل العلم الشرعي الصحيح الثابت بكيفية تطبيق هدي الرسول- ﷺ- فإنهم موعودون بالخسران المبين في الدنيا قبل الآخرة.

فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى [101]، وجه الدلالة: قوله- ﷺ- فيهم: **" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أَبى "، قالوا: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال** صلى الله عليه وسلم: **" مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى "** [102]، كما وأن حديث الثلاثة الذين ابتدعوا في أعمالهم، فالأول صيامه الدهر كله، والثاني الزهد في الزواج

---

(96) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود 184/3 رقم (2697).

(97) العسقلاني: فتح الباري 642/5.

(98) الفوزان: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ص111.

(99) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب السنة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 16/1 رقم (43).

(100) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٨١.

(101) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 141/1.

(102) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ▯ 92/9 رقم (7280).

باعتباره يُشغل المسلم عن العبادة، وأما ثالثهم قيام الليل كله وكل ليلة.. ضناً منهم صواب فعلهم، لهو خير دليل على بعدهم عن تحقيق المتابعة الصحيحة التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم.. وعليه فيجب وجوباً تحري العلم الشرعي الصحيح والإخلاص القلبي دون شك، والعمل بما جاء به الرحمة المُهداة نبينا محمد بن عبد الله- ﷺ- دون زيادة أو تأول حتى ينجو صاحب هذه العبادة من عقاب الله تعالى في الآخرة، وينال السعادة والفلاح والنجاح والنجاة في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث: العلم بالتشريع ثم العمل به:

إن لمكانة العلم في الخلق شأن عظيم، فالجهل معضلة ونقص وظلال للقلوب والعقول والإفهام، ولذلك نبه الباري عز وجل على مكانته وأعلى من شأنه، فمنذ أن خلق سبحانه وتعالى آدم عليه الصلاة والسلام، أعطى لكل ذي شيء قدره من العلم والمعرفة قال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 33)، فهذا دليل على سعة علم الله تعالى، بأنه سبحانه فاضل بين مخلوقاته بأمور أعلاها شأناً العلم، فهو سبحانه وتعالى علام الغيوب وعالم بكل شيء.

إجماع العلماء على إثبات صفة العلم لله جل وعلا، مع الإقرار باستوائه جل وعلا على عرشه، قال: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين علم عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، أنه على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتج بقوله [(103)]، ووجه الدلالة: قوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: 85).

فهذه الآيات وغيرها حُجة على العباد بتحري الحق في معرفة الحلال من الحرام في أمور العبادات الفعلية والقولية وكذلك المعاملات الدنيوية والآخروية كالبيع والشراء.. وغيرها، أما المشتبهات التي لا يعلمها الكثير من الناس فالأصل عندنا أهل السنة الجماعة البعد عنها لما فيها من المغالبة بين الحلال والحرام فالترك أولى ما لم يكن هنا دليلٌ صريح صحيح بالحِلّ وإلا فالترك أولى وأسلم.. ومن هنا كان من الضروري أن يتثبت من أراد عبادة الله تعالى على بصيرة ونور وهداية، أو يتعامل مع الناس أن يبتعد عن أمور هامة منها:

المسألة الأولى: الجهل:

- الجهل في التشريع الإسلامي، والقانون المدني، والقضائي، ولدى أهل الأهواء:

أ- الجهل في التشريع الإسلامي:

إذا كان الجهل محضاً عند صاحبه فهذا لا شيء عليه ابتداءً إذا وقع منه خطأ ما عند عبادته لله تعالى؛ ولكن يجب عليه البحث والتحري والسؤال عن الصحيح والصواب فيما يقوم به من الأعمال وكذلك الأقوال كالدعاء والأذكار وغيرها، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالحرص على ذلك بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 43)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " [(104)]. ومن أنواع الجهل.. التقول على رسول الله- ﷺ- والكذب عليه.

---

(103) النمري: التمهيد 139/7، والذهبي: مختصر العلو ص268، وابن القيم: اجتماع الجيوش ص133.

(104) ابن ماجه: سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي 659/1 رقم (2043).

ولذلك شدد العلماء النكير على ذلك حتى قال الشيخ أبو محمد الجويني: يكفر من تعمد الكذب على الرسول- ﷺ- ولو لم يستحله [(105)]، وجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " [(106)].

والجمهور: أن الكذب على الرسول فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله، هذا هو المشهور من مذاهب العلماء وإذا لم يحكم بكفره حكم بفسقه [(107)].

وأما أثر الجهل على المسئولية الجنائية: من المبادئ الأولية في الشريعة الإسلامية أن الجاني لا يؤاخذ على الفعل المحرم إلا إذا كان عالماً علماً تاماً بتحريمه، فإذا جهل التحريم ارتفعت عنه المسئولية.

ويكفي في العلم بالتحريم إمكانه، فمتى بلغ الإنسان عاقلاً وكان ميسراً له أن يعلم ما حرم عليه: إما برجوعه للنصوص الموجبة للتحريم، وإما بسؤال أهل الذكر، اعتبر عالماً بالأفعال المحرمة، ولم يكن له أن يعتذر بالجهل أو يحتج بعدم العلم، ولهذا يقول الفقهاء: (لا يُقبل في دار الإسلام العذر بجهل الأحكام).

ويعتبر المكلف عالماً بالأحكام بإمكان العلم لا بتحقق العلم فعلاً، ومن ثم يعتبر النص المحرم معلوماً للكافة ولو أن أغلبهم لم يطلع عليه أو يعلم عنه شيئاً [(108)].

وقد اتبع أصحاب النبي ▯ هديه- ﷺ- في تنبيه الجاهل حال وقوعه في خطأ وتعليمه الصواب، بل والتماس العذر له، فعن السائب بن يزيد ▯ قال: (كنت قائماً في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ▯، فقال: اذهب فأتني بهذين. فجئته بهما. فقال: ممن أنتما- أو من أين أنتما؟- قالا: من أهل الطائف. قال: (لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما؛ ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله- ﷺ) [(109)]؛ قال القاضي أحمد بن حجر البنعلي رحمه اللّه تعالى: [فليتأمل العاقل كيف رأى عمر ﷺ، أن يؤدب رافع صوته في المسجد بالضرب الوجيع، وانظر عدله في الكف عنهما وإقامة العذر لهما، بسبب جهلهما الحكم لكونهما ممن بدا عن مدن الفقه العلم] [(110)]، إذا لا بد من تعلم العلم الشرعي الصحيح، وتعليمه للآخرين إذا دعت الضرورة إلى ذلك لنفي الشبهة عن نفسه أو عمله أمام الناس، ومصداق ذلك فعل النبي- ﷺ- عندما رآه بعض الصحابة ▯ في الليل واقفاً مع زوجته أم المؤمنين صفية بنت حيي ﷺا، فقد استوقفهم الرسول- ﷺ- وقال لهم: " على سلكما، إنها أمكم صفية " وذلك حتى يرفع الشبهة عنه- ﷺ- وعن زوجته، فالواجب أن لا يستمر العبد المسلم على جهله، بل ويجب على العَالِمِيْن تعليم غيرهم، فقد يقعون بما هو أكبر من ذلك ألا وهو الابتداع في دين الله تعالى من غير دليل، وألا يكون عرضة لأهواء الشيطان وتلاعبه به.

ب- الجهل في القانون المدني:

لا شك أن القواعد القانونية تستمد قوتها الملزمة من إرادة الجماعة ولتأكيد عنصر الإلزام في القاعدة القانونية فقد استقر منذ مدة طويلة مبدأ عدم جواز الاعتذار بجهل القانون، وهذا المبدأ يعني أنه لا يجوز لأي

---

(105) البنعلي: تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص25.

(106) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم (110).

(107) البنعلي: تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص25.

(108) عودة: كتاب التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي 430/1.

(109) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد 179/1 رقم (458).

(110) البنعلي: تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدّين ص232.

شخص أن يدعي جهله بالقواعد القانونية، حيث يضع القانون قرينة نصها افتراض العلم بالقانون، لذا فلا يتوقف تطبيق القانون على الظروف الشخصية للأفراد ومدى علمهم بالقانون من عدمه (111).

إن القاعدة الفقهية المستقر عليها منذ القدم والقائلة بأنه لا يعذر أحد بجهله في القانون.. وهذه القاعدة تم النص عليها في التشريعات الجزائية حيث تنص المادة (85) من قانون العقوبات الأردني بالقول: (لا يُعتبر جهل القانون عذراً لمن يرتكب أي جرم) (112).

لا يُعذر أحد بجهلِهِ بالقانون، وقد وضع المشرع الوطني نظرية عامة لقاعدة العلم بالقانون، رغبة منه (أي المشرع) في أن ينطبق القانون على جميع الأشخاص المخاطبين بأحكامه، سواء وصل إليهم العلم الحقيقي بالقانون أم لا، فلا يقبل من احد الاعتذار بالجهل بالقانون، وأساس هذه القاعدة نجده، في أن الاستغناء عنها يؤدي إلى انهيار، وحلول الفوضى محله، فهي قاعدة ضرورية يفرضها وجود القانون نفسه (113).

ج- الجهل في القانون القضائي:

في القانون اللبناني هناك حالات يجعل فيها المشرع اللبناني الجهل مانعاً من العقاب، حيث انه بعد أن أورد المبدأ في المادة 223 من قانون العقوبات مقرراً انه (لا يمكن أحد أن يحتج بجهلِهِ الشريعة الجزائية أو تأويله إياها تأويلاً مغلوطاً فيه).. نص على أنه يعد مانعاً من العقاب:

1- الجهل او الغلط على شريعة مدنية أو إدارية يتوقف عليها فرض العقوبة.
2- الجهل بشريعة جديدة إذا اقترف الجرم في خلال الأيام الثلاثة التي تلت نشرها.
3- جهل الأجنبي الذي قدم للبنان منذ ثلاثة أيام على الأكثر بوجود جريمة مخالفة للقوانين الوضعية لا تعاقب عليها شرائع بلاده أو شرائع البلاد التي كان مقيما فيها (114).
4- الجهل بأحكام القانون لا يُعتبر عذراً مانعاً لإيقاع المترتبة على الجرائم والمخالفات. وفق المادة 42 من قانون العقوبات لدولة الإمارات العربية المتحدة (115).

د- الجهل في أهل الأهواء:

وأما جهل ذوي الهوى بالأحكام المتعلقة بالآخرة كعذاب القبر والرؤية والشفاعة لأهل الكبائر، وعفو ما دون الكفر، وعدم خلود الفساق في النار، فلم يكن هذا الجهل عذراً لكونه مخالفاً للدليل الواضح من الكتاب والسنة والمعقول، لكنه لما نشأ من التأويل للأدلة كان دون جهل الكافر (116).

---

(111) صحيفة الشرق القطرية: مقال/ عبد العال عبد الله خليل، بعنوان: عدم جواز الاعتذار بجهل القانون، بتاريخ 2021/8/10م، رابط الكتروني: https: //al-sharq. com/opinion/23/02/2016/%D8%B9%D8%AF%D9%85-%D8%AC%D9%88%D8%A7%D8%B2-

(112) صحيفة الدستور الأردنية: مقال/ ياسر شقير، بعنوان: لا يعذر أحد بجهله في القانون، بتاريخ 2011/5/9م، رابط الكتروني: https: //www. addustour. com/articles/751021-%D9%84%D8%A7-%D9%8A%D8%B9%D8%B0%D8%B1-

(113) د. سمير السيد تناغوا، النظرية العامة للقانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1999م، ص٥٩٣ وما بعدها.

(114) صحيفة القبس الكويتية: 2008/3/3م، محامو الكويت، موقع إلكتروني: https: //www. mohamoon-kw. com/default. aspx?Action=DisplayNews&ID=12238

(115) حكومة دبي: النيابة العامة، وثيقة حقوق المتهم، ص5، موقع الكتروني: https: //www. dxbpp. gov. ae/pdfs/Ac_AR. pdf

(116) الكفوي: الكليات ص350.

مما سبق ذكره بالأدلة السابقة، يتبين بأن الجهل آفة عظيمة، فإذا كانت في المصالح الدنيوية فقد ضُيعت الكثير من الحقوق الحياتية للفرد، وأما إذا كان الجهل في التشريع الإسلامي فهو خسارة في الدنيا والآخرة، والأمر أشد وأشنع.

المسألة الثانية: الابتداع: إنه بلا ريب أوشك شرٌ لمن وقع به في عبادته الفعلية أو القولية وحتى معاملاته الأخلاقية، لاسيما إذا كانت عن عمدٍ منه بعد علمه بالحق والصواب، فهؤلاء محاربون لله تعالى ولرسوله محمد-ﷺ- فهم بذلك يسعون إلى تبديل وتغيير بل وتشويه دين الإسلام الذي خلق الله تعالى الخلق من أجلهِ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، فالابتداع في حقيقته عبادة الله تعالى بما لم يشرعه، والإتيان به يخالف تماماً مقاصد الشارع عز وجل، وهذا الأمر يحببه الشيطان لأوليائه ويوهمهم بأنهم على الحق المبين.

وإن قيل فيه هذه بدعة حسنة فإن وما ادعاه العلماء من أن هناك بدعة حسنة، فلا تخلو من حالين:

1- أن لا تكون بدعة لكن يظنها بدعة.

2- أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم عن سوئها.، فكل ما ادعي أنه بدعة حسنة فالجواب عنه بهذا [117]، ووجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: " *دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ*، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ " [118].

فالمبتدع المتعمد شيطان ضال نذر نفسه لإظلال الناس باسم الإسلام والإسلام براءٌ منه، وقد ابتدعت قريشاً صلاةً عند بيت الله الحرام بمكة المكرمة قبل الإسلام، فقد كانت صلاتهم مُكاءً وتصديةً لما فيها من أمرهم لمن قدم من غير أهل مكة بالطواف عُرياناً، واللحن والتصفيق أثناء طوافهم بالكعبة المشرفة، فهذه الأفعال أنكرها الله تعالى عليهم، كما يفعلهُ اليوم بعض المسلمين من الدق على الدفوف والرقص في المساجد، ويسمون ذلك بالذكر الجماعي بعد الصلاة – زعماً منهم – أن ذلك من أفضل أنواع الذكر، ولهؤلاء وغيرهم نقول يجب عليه الرجوع لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فأن توبة الله تعالى بعيدة ما لم يرجع عن بدعته تلك ويتوب توبةً نصوحاً.

إن كل بدعة تخالف دليلاً يوجب العلم والعمل به فهي كفر، وكل بدعة تخالف دليلاً يوجب العمل ظاهرًا فهي ضلالة وليست بكفر، وقد اعتمد عليه عامة أهل السنة والجماعة [119].

فلا نكفر أهل القبلة ما لم يأتِ بما يوجب الكفر.. ومختار جمهور أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين عدم إكفار أهل القبلة من المبتدعة المؤولة في غير الضرورية؛ لكون التأويل شبهة [120]، وجه الدلالة: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته " [121]، وفي رواية احتجر، والمراد باحتجر، أي: أن الله تعالى لا يُوفق ولا يُيسَّر صاحب البدعة، وقيل: احتجر، بمعنى: حرم [122]، ولعل مما يقع فيه بعض المتعالمين من تقديم المفضول على الفاضل، قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: [من البدع المستحدثة ترك العلم، والاشتغال بنوافل العبادات] [123].

---

(117) العثيمين: مجموع الفتاوى، للشيخ ابن العثيمين 248/5 (بتصرف).

(118) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب الأحكام، الصدق طمأنينة والكذب ريبة، 134/5 رقم (7128)، والترمذي رقم (2442)، وقال: حديث حسن صحيح.

(119) الكفوي، الكليات ص243

(120) الكشميري: إكفار الملحدين في ضروريات الدين ص118

(121) الطبراني: المعجم الأوسط 113/5 رقم (4214)، وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة 154/4 رقم (1620).

(122) الرازي: المختار الصحاح ص123، مادة: حجر.

(123) جلال الدين السيوطي: الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع ص219.

فالمأمول من المسلم العاقل أن يُميز بين الغث والسمين، والفاضل والمفضول، والمقدم والمؤخر، والخطأ والصواب في كل اعتقاداته وعباداته ومعاملاته، حتى تكون وفق ما أمر الله تعالى به عبادهِ الموحدين المخلصين الساعين لرضوانه ومغفرته.

ومنهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع.. منهجهم مبني على الكتاب والسنة وهو المنهج المقنع المفحم، حيث يردون شبه المبتدعة وينقضونها ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات، وقد ألفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك [124]، ووجه الدلالة: من النص: ينقضونها ويستدلون بالكتاب والسنة وهما الأصل في التشريع الإسلامي الصحيح، لنيل ثوابه الدنيوي بالسعادة فيها، والنعيم الآخروي وهو الغاية الكبرى بدخول جناته بإذنه تبارك وتعالى.

المطلب الرابع: لا يكون الإتباع دون الإخلاص والعلم الشرعي الصحيح:

مما سبق بيانه منفرداً لا يحقق كمال القبول للعبادة الحقة، فحتى يمكن تحقيق ذلك لا بد من اجتماع الإخلاص لله تعالى في العمل وفق ما بُعث عليه الحبيب المحبوب محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لا بد من السعي لمعرفة صحة تلك الأعمال والأقوال والمعاملات بالعلم الشرعي النافع دون إفراط ولا تفريط، فالوسطية دين الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: 143).

ومن قول أهل السنة والجماعة في إكساب العباد: أنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهوى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه [125]، وجه الدلالة: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ *اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ*﴾ (الحج: 14).

ومن هنا حذر الله تعالى وكذلك رسوله- ﷺ- الخلق من الوقوع في أعمال النفاق من إظهار الإسلام للمسلمين وإبطان العداوة لهم والكيد منهم، ومن تلك العلامات الدالة عليهم ارتكاب البدع والإتيان بها جهاراً نهاراً قاصدين بذلك إيهام العوام من المسلمين بأنهم على الحق المبين، وهم على العكس تماماً، فعن عقبة بن عامر الجهني ﷺ، قال سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: " هلاك أمتي في الكتاب واللبن "، قالوا يا رسول الله: ما الكتاب واللبن؟ قال: " يتعلمون القرآن، فيتأولونه على غير ما أنزل الله عز وجل، ويحبون اللبن، فيدعون الجماعات والجمع ويبدون " [126]، المراد: بالذين يتأولونه على غير وجهه، أي: يضعونه في غير مواضعه، أو يحفظون القرآن تقية للتهمة عن أنفسهم، وهم معتقدون خلافه، فكان المنافقون في عهد النبي- ﷺ- بهذه الصفة [127].

قال ابن المبارك: من كفر بحرف من القرآن، فقد كفر بالقرآن، ومن قال: لا أؤْمِنُ بهذا الكلام فقد كفر [128]، ووجه الدلالة: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم.. " [129].

---

(124) الفوزان: كتاب التوحيد د. صالح الفوزان ص 114.

(125) الصابوني: الرسالة ص103.

(126) أحمد بن حنبل: المسند، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني 155/4 رقم (16774).

(127) الشوكاني: شرح النووي على مسلم 5/ 39.

(128) الصابوني: الرسالة ص42.

(129) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج 747/2 رقم (1066).

فهؤلاء في أشد العذاب بل أكبر من ذلك، قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: 145)، ولعل من صور الفساد في العبادة كذلك ما يقوم به البعض الآخر تعمداً المراءاة والتمثيل بتحسين الهيئات من اللباس والحركات والعبادات وسائر المعاملات حتى يظن من يراهم من عوام المسلمين أنهم أصحاب الاعتقاد الصحيح، ومنهم كذلك المتشددين والمتنطعين، ومن ذلك التبتل والانقطاع عن الناس.

فالتبتل إلى الله، انقطع وأخلص، أو ترك النكاح وزهد فيه، وهذا محظور، لا رهبانية ولا تبتل في الإسلام [130]، ووجه الدلالة: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: 91).

وقد تناولنا بعضاً من حالاتهم وصور فساد عباداتهم، فإن هؤلاء يصدق فيهم قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (الكهف: 103- 106).

ومن هنا يجب على المسلم أن يتبصر في تعلمه العلم الشرعي الصحيح، حتى لا يقع فريسة جهله فيغرق في مستنقع الفتن المهلكة، ولعل من أدق التوصيفات في بيان أقسام الناس في هذا الشأن، ما ذكره الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى، في ترجمته للشيخ علي بن قاسم حنش رحمه الله تعالى قوله: من محاسن ما سمعناه منه: [الناس على **طبقات ثلاث:**

- **فالطبقة العالية:** العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحقّ والباطل وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن، لعلمهم بما عند بعضهم بعضاً.
- **والطبقة السافلة:** عامة على الفطرة لا ينفرون عن الحقّ، وهم أتباع من يقتدون به إن كان محقّاً كانوا مثله، وإن كان مبطلا كانوا كذلك.
- **والطبقة المتوسّطة:** هي منشأ الشرّ وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يُمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة، فإنهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول ما يعرفونه، مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوّقوا إليه سهام التقريع، ونسبوه إلى كل قول شنيع وغيّروا فطر أهل الطبقة السفلى عن قَبول الحق بتمويهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتن الدينيّة على ساق] [131]، ثم قال الشوكاني رحمه الله تعالى: هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه وقد صدق فإن من تأمل ذلك وجده كذلك.

فالمسلم الفطن اللبيب يحذر في جميع قُرباته لله تعالى أن تكون خالصةً لوجهه الكريم، موافقة لهدي نبينه محمد صلى الله عليه وسلم، مع حرصه التام على تعلم العلم الشرعي الصحيح البعيد عن أصحاب الفتن والأهواء، لتكون خاتمة أمرهِ مقبولة عند خالقهِ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: 99). اللهم ألهمنا رُشدنا، وقنا الفتن ما ظهر منها ومن بطن.. اللهم آمين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة.

الحمد لله الذي بنعمائه تتم الصالحات، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم.. فبعد هذه الجولة العقدية السريعة ومن خلال هذا البحث، تبين لي بعض النتائج والتوصيات التالية:

---

(130) الكفوي: الكليات ص246.

(131) الشوكاني: البدر الطالع 323/1.

خلاصة بأهم النتائج:

1- صحة متابعة هدي الرسول- ﷺ- من أعظم أسباب قبول العمل الصالح.

2- الآثار السلبية لمتغيرات العصر أدت إلى الفتور في العمل الصالح والإخلاص به.

3- إن انشغال المسلم بمستجدات حياته أثرت على سلوكياته وعلاقاته وبالتالي على معاملاته مع الآخرين.. في أمور الدنيا والدين.

4- إن الإنسان لا يُعذر بجهلهِ بقوانين الدنيا، فمن باب أولى ألا يُعذر في معرفة شرائع الإسلام، فالجهل علة العلم، فأقل ما يقال في ذلك النقص.

5- إن الابتداع، وهو علة الهوى والنفس الإمارة بالسوء، يجعل العمل غير صالح وبالتالي مردود على صاحبه.

التوصيات والمقترحات.

بناءً على ما تم التوصل إليه من ذكر وبيان، يوصي الباحث ويقترح ما يلي:

1. حث المسلمين على تلقي المعلومة الصحيحة في الشريعة الإسلامية.
2. تحذير المسلم من الجهل والغفلة عند أداء الأعمال أو التلفظ بالأقوال، خشية الوقوع في الغلو أو الابتداع.
3. تنشيط دور وسائل الإعلام بضرورة تثقيف المسلم بعظمة الله تعالى لتحقيق الغاية من العبادة الصحيحة.
4. تفعيل دور الخطباء وأئمة المساجد لتعليم المسلمين ضوابط وقواعد أهمية وصحة العمل الصالح.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن أبي العز: محمد بن علاء الدين الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق/ جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1983م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1992.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق/ نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1986م.
- ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان، تح: حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت ط2، 1975.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ عبد الغني الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، تحقيق/ علي بن حسن الأثري، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1996م.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى ابن باز، تحقيق/ محمد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ط1، 2000م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق/ ناصر العقل، دار العاصمة، الرياض، ط6، 1998م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، وزارة الأوقاف السعودية، ط 2004م.

- ابن حبان: محمد بن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ- 1988 م
- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي، مراتب الإجماع، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1998م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت ط1، 1996.
- ابن منظور: جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 2003م.
- أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق/ محمد محي الدين، ط دار الفكر، دمشق.
- الآجري، محمد بن الحسين، كتاب الشريعة، تحقيق/ عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.
- أحمد، بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الرياض ط1، 1998.
- الالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، شرح أصول الاعتقاد، تحقيق/ نشأت بن كمال المصري دار البصيرة، ط الاسكندرية، 2001م
- الإمام الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ط2، 1983.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت ط1، 2002.
- البنعلي، أحمد بن حجر، تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدّين، ط علي بن علي، الدوحة 1982.
- البيانوني، أحمد عز الدين، العمل الصالح، جزاؤه وأنواعه وفضله، دار السلام، ط3 1999م، القاهرة.
- البيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1990.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفاحة: جمال السيد، الصلابة النفسية والرضا عن الحياة لدى عينة من المسنين (دراسة مقارنة)، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، 2009، مجلد (19)، ع (3أ).
- تناغوا، سمير السيد، النظرية العامة للقانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1999م.
- التويجري: عبد الله، البدع الحولية، (رسالة ماجستير)، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية 1406هـ، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2000م.
- جريدة القبس الكويتية، 2008/3/3م، محامو الكويت، موقع إلكتروني: https: //www. mohamoon- kw. com/default. aspx?Action=DisplayNews&ID=12238
- حكومة دبي، النيابة العامة، وثيقة حقوق المتهم، ص5، موقع الكتروني: https: //www. dxbpp. gov. ae/pdfs/Ac_AR. pdf
- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الفكر، سوريا، ط1، 1981م.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والتشريع والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1998م.
- الساعاتي، أحمد البنا، الفتح الرباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط2.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض، ط2، 2002.
- السمعاني، منصور بن محمد، تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.
- السيد، محمد بن مصطفى، الإتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن الكريم، مؤسسة صلاح سليم، الرياض، ط1، 2002م.
- السيوطي، الإمام جلال الدين، الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع، تحقيق/ مشهور ب حسن آل سلمان، دار ابن القيم للنشر، الدمام، ط1، 1990.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2019م.
- شلبي، عالية السادات، الرضا عن الحياة وعلاقته بتقدير الذات والوحدة النفسية في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية لدى الأخصائي الاجتماعي، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، العدد 27، أكتوبر 2012م
- شلدان، فايز كمال، درجة ممارسة طلبة الجامعة الإسلامية للعمل الصالح، وسبل تفعيلها، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مجلد 19 (العدد الثاني)، 2011م.
- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، ط 2004م.
- الشوكاني، محمد بن علي، شرح النووي على مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1995.
- الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن، الرسالة في إعتقاد أهل السنة، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر، مؤسسة دار لطائف، الكويت ط3، 2016.
- صحيفة الدستور الأردنية، مقال/ ياسر شقير، بعنوان لا يعذر أحد بجهله في القانون، بتاريخ 2011/5/9م، رابط الكتروني: https: //www. addustour. com/articles/751021- %D9%84%D8%A7- %D9%8A%D8%B9%D8%B0%D8%B1- %D8%A3%D8%AD%D8%AF- %D8%A8%D8%AC%D9%87
- صحيفة الشرق القطرية، مقال/ عبد العال عبد الله خليل، بعنوان: عدم جواز الاعتذار بجهل القانون، بتاريخ 2021/8/10م، رابط الكتروني: https: //al- sharq. com/opinion/23/02/2016/%D8%B9%D8%AF%D9%85- %D8%AC%D9%88%D8%A7%D8%B2- %D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D8%B0%
- الصغير، أ. د. فالح بن محمد، أثر العمل الصالح في تفريج الكروب، دار ابن الأثير، موقع إلكتروني :https .//books- library. net/free- 622476909- download
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام شرح بلوغ المرام، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 2006م.
- العاني، عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 2001م.
- العثيمين، محمد بن صالح، التعليق على مسلم، ط مكتبة الرشد، الرياض ط1، 2014.
- العثيمين، محمد بن صالح، شرح ثلاثة الأصول، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1997م.
- العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض ط 2006.

- العثيمين، محمد بن صالح، منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2001م.
- عزيرو: سعاد، دور التدين في تحقيق الصحة النفسية، مجلة الطريق التربوي والعلوم الاجتماعية، المجلد 6 (4)؛ مارس 2019م.
- العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق/ عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة العبيكان، ط2، 2001م.
- عمر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م.
- عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكاتب العربي، بيروت، ط 2013م.
- الفاسي، علي بن محمد ابن القطان، الإقناع في مسائل الإجماع، تحقيق/ حسن الصعيدي، الفاروق، القاهرة، ط1، 2004م.
- الفوزان، صالح فوزان، كتاب التوحيد، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1997م.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، تفسير القشيري- المسمى لطائف الإشارات، تحقيق/ عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2015م.
- الكشميري: محمد أنور شاة، إكفار الملحدين في ضروريات الدين، تحقيق/ محمد الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ط2010م.
- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكُليات، مؤسسة الرسالة، بيروت ط2، 1998.
- محفوظ، علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع، تحقيق/ سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد، الرياض ط1، 2000.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق/ عبد الحميد صالح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.
- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986.، وابن ماجة، البيهقي.
- النمري: يوسف ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق/ عبد الله الصديق، من مصورة مكتبة ابن تيمية، ط/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، 1967م.
- النووي: محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت، ط 1996م.
- النيسابوري، مسلم بن حجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2010.